www.alukah.net الإحداد من شبكة الألوكة

(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، وما يذكر الا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

٢٩ المحرم سنة ١٣٤٤ ـ ٢٦ برج الاسد سنة ١٣٠٤ هش ١٩ أغسطس سنة ١٩٢٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مسئلة ﴾ سئلها الشيخ الامام العالم العلامة ، امام الوقت ، فريد الدهر ، جوهر العلم ، لب الايمان ، قطب الزمان ، مفتي الفرق ، شيخ الاسلام ، تقي الدين ابو العباس احمد ابن الشيخ الامام شهاب الدين عبد الحليم ابن الشيخ الامام العلامة مؤيد السنة مجد الدين عبد السلام ابن تيمية الحراني رضي الله عنه ونفع به آمين : في جماعة يجتمعون في مجلس ويلبسون لشخص منهم لباس الفتوة ويديرون بينهم في مجلسهم شربة فيها ملح وماء ويشربونها ، ويزعمون أن هذا من الدين ، ويذكرون في مجلسهم ألفاظا لا تليق بالعقل والدين فمنها أنهم يقولون إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألبس علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لباس الفتوة ثم أمره أن يلبس من شاء ، ويقولون ان اللباس انزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صندوق ويستدلون عليه بقوله تعالى (يابني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم) الآية — فهل هو كما زعموا أم كذب مختلق ؟ وهل هو من الدين أم لا ؟ واذا لم يكن من الدين فما يجب على من يفعل ذلك أو يعين عليه ؟ ومنهم من ينسب ذلك الى الخليفة الناصر لدين الله أبي عبد الجبار ويزعم أن ذلك من الدين ، فهل لذلك أصل أم لا ؟ وهل الاسماء التي يسمون بها بعضهم بعضا من اسم الفتوة ورءوس الاحزاب والزعماء فهل لهذا أصل أم لا ؟ ويسمون المجلس الذي يجتمعون فيه دسكرة ، ويقوم للقوم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نقيب الى الشخص الذى يلبسونه فينزعه اللباس الذي عليه بيده و يلبسه اللباس الذي يزعمون أنه لباس الفتوة بيده، فهل هذا جائز ام لا ؟ واذا قيل لايجوز فعل ذلك ولا الاعانة عليه فهل يجب على ولي الامر منعهم من ذلك ؟ وهل للفتوة أصل في الشريعة أم لا؟ واذا قيل لاأصل لها فى الشريعة فهل يجب على غير ولي الامر أن ينكر عليهم ويمنعهم من ذلك أم لا؟ مع امكانه من الانكار (١) وهل أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو من التابعين أو من بعدهم من أهل العلم فعل هذه الفتوة المذكورة أو امر بها ام لا؟ وهل خلق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من النور ام خلق من الاربع عناصر أم من غير ذلك ؟ وهل الحديث الذي يذكره بعض الناس: لولاك ماخلق الله عرشا ولا كرسيا ولا ارضا ولا سماء ولا شمسا ولا قمرا ولا غير ذلك صحيح هو أم لا؟ وهل الاخوة التي يواخيها المشايخ بين الفقراء فى السماع وغيره يجوز فعلها فى السماع ونحوه أم لا ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين المهاجرين والانصار أم بين كل مهاجري وأنصاري ؟ وهل آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بن ابي طالب كرم الله وجهه أم لا ؟ بينوا لنا ذلك بالتعليل والحجة المبينة وابسطوا لنا الجواب في ذلك بسطا شافيا مأجورين أثابكم الله تعالى

*

لباس خرقة الفتوة مبتدع

﴿ الجواب ﴾ الحمد لله أما ماذكر من إلباس لباس الفتوة السراويل أو غيره واسقاء الملح والماء فهذا باطل لا أصل له ولم يفعل هذا رسول الله

(١) الوجه أن يقال تمكنه بدل امكانه فلعله محرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أحد من أصحابه ولا على بن ابي طالب ولا غيره ولا من التابعين لهم باحسان: والاسناد الذي يذكرونه من طريق الخليفة الناصر الى عبد الجبار الي ثمامة فهو اسناد لا تقوم به حجة، وفيه من لا يعرف ولا يجوز لمسلم أن ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا الاسناد المجهول الرجال أمرا من الامور التي لا تعرف عنه فكيف اذا نسب اليه مايعلم انه كذب وافتراء عليه، فان العالمين بسنته وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المختلق عليه وعلى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وما ذكروه من نزول هذا اللباس في صندوق هو من اظهر الكذب باتفاق العارفين بسنته، واللباس الذي يواري السوءة هو كل ماستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح، انزل الله تعالى هذه الآية لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون: ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها، فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والكذب في هذا اظهر من الكذب فيما ذكر من لباس الخرقة، وأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تواجد حتى سقطت البردة عن ردائه، وانه فرق الخرق على أصحابه، وان جبريل اتاه وقال له ان ربك يطلب نصيبه من زيق الفقر، وانه علق ذلك بالعرش فهذا أيضا كذب باتفاق أهل المعرفة فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجتمع هو وأصحابه على سماع كف ولا سماع دفوف وشبابات ولا رقص، ولا سقط عنه ثوب من ثيابه في ذلك ولا قسمه على اصحابه وكل مايروى من ذلك فهو كذب مختلق باتفاق أهل المعرفة بسنته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

(شروط لباس خرقة الفتوة)

والشروط التي تشترطها شيوخ الفتوة ماكان منها مما أمر الله به ورسوله كصدق الحديث وأداء الامانة وأداء الفرائض واجتناب المحارم ونصر المظلوم وصلة الارحام والوفاء بالعهد أو كانت مستحبة كالعفو عن الظالم واحتمال الاذى وبذل المعروف الذي يحبه الله ورسوله وأن يجتمعوا على السنة ويفارق أحدهما الآخر اذا كان على بدعة ونحو ذلك فهذه يؤمن بها كل مسلم سواء شرطها شيوخ الفتوة أو لم يشرطوها، وماكان منها مما نهى الله عنه ورسوله مثل التحالف الذي يكون بين اهل الجاهلية ان كلا منهما يصادق صديق الآخر في الحق والباطل، ويعادي عدوه في الحق والباطل، وينصره على كل من يعاديه سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله(١) وفي الصحيح عنه انه صلى الله عليه وسلم قال «ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط، كتاب الله أحق وشرط الله اوثق» رواه البخاري. وفي السنن عنه أنه قال «المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا» وكل ما كان من الشروط التي بين القبائل والملوك والشيوخ والاحلاف وغير ذلك فانها على هذا الحكم باتفاق علماء المسلمين، ما كان

(١) (المنار) سقط من الاصل أول الحديث من هنا الى قوله كتاب الله فقال: [illegible]

من الامر المشروط الذي قد أمر الله به ورسوله فانه يؤمر به كما أمر الله به ورسوله . وان كان مما نهى الله عنه ورسوله فانه ينهى عنه كما نهى الله عنه ورسوله ، وليس لبني آدم أن يتعاهدوا ولا يتعاقدوا ولا يتحالفوا ولا يتشارطوا على خلاف ما أمر الله به ورسوله ، بل على كل منهم ان يوفوا بالعقود والعهود التي عهدها الله الى بني آدم كما قال الله تعالى (واوفوا بعهدي اوف بعهدكم) وكذلك مايعقده المرء على نفسه كعقد النذر او يعقده الاثنان كعقد البيع والاجارة والهبة وغيرهما او ما يكون تارة من واحد وتارة من اثنين كعقد الوقف والوصية ، فانه في جميع هذه العقود متى اشترط العاقد شيئا مما نهى الله عنه ورسوله كان شرطه باطلا

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال : « من نذر ان يطيع الله فليطعه ، ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه » . والعقود المخالفة لما أمر الله به ورسوله هي من جنس دين الجاهلية وهي شعبة من دين المشركين واهل الكتاب الذين عقدوا عقوداً أمروا فيها بما نهى الله عنه ورسوله ، ونهوا فيها عما امر الله به ورسوله فهذا اصل عظيم يجب على كل مسلم أن يتجنبه

﴿ فصل ﴾

(الفتى والفتوة والزعيم والحزب والدسكرة وماقالوه فيها)

وأما لفظ الفتى فمعناه في اللغة الحدث كقوله تعالى (انهم فتية آمنوا بربهم) وقوله تعالى (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) ومنه قوله تعالى (واذ قال موسى لفتاه) لكن لما كانت اخلاق الاحداث اللين صار

كثير من الشيوخ يعبرون بلفظ الفتوة عن مكارم الاخلاق كقول بعضهم طريقنا تتفتى وليس بتقوى (؟) وقول بعضهم الفتوة أن تقرب من يقصيك وتكرم من يؤذيك، وتحسن الى من يسيء اليك، سماحة لا كظما، ومودة لا مضارة. وقول بعضهم الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى. وامثال هذه الكلمات التي توصف فيها الفتوة بصفات محمودة محبوبة سواء سميت فتوة أو لم تسم، وهي لم تستحق المدح في الكتاب والسنة إلا لدخولها فيما حمده الله ورسوله من الاسماء كلفظ الاحسان والرحمة والعفو والصفح والحلم وكظم الغيظ والبر والصدقة والزكاة والخير ونحو ذلك من الاسماء الحسنة التي تتضمن هذه المعاني، فكل اسم علق الله به المدح والثواب في الكتاب والسنة كان اهله ممدوحين، وكل اسم علق به الذم والعقاب في الكتاب والسنة كان اهله مذمومين، كلفظ الكذب والخيانة والفجور والظلم والفاحشة ونحو ذلك

وأما لفظ الزعيم فانه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين قال تعالى (ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم) فمن تكفل بامر طائفة فانه يقال هو زعيم فان كان قد تكفل بخير كان محموداً على ذلك وان كان شراً كان مذموما على ذلك.

وأما رأس الحزب فانه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا فان كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم. وان كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والاعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق والباطل، فهذا من التفرق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي ذمه الله تعالى ورسوله فان الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الاثم والعدوان

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك بين أصابعه. وفي الصحيح عنه انه قال «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله» وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «انصر اخاك ظالما او مظلوما» قيل يارسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما؟ قال «تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه». وفي الصحيح عنه انه قال «خمس تجب للمسلم على المسلم: يسلم عليه اذا لقيه، ويعوده اذا مرض، ويشمته اذا عطس، ويجيبه اذا دعاه، ويشيعه اذا مات». وفي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير مايحب لنفسه».

فهذه الاحاديث وامثالها فيها امر الله ورسوله بما امر به من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا». وفي الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وان تناصحوا من ولاه الله امركم»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي السنن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «الا انبئكم بافضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا بلى يا رسول الله قال «صلاح ذات البين ،هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» فهذه الامور مما نهى الله ورسوله عنها

وأما لفظ السكرة ،فليست من الالفاظ التي لها أصل في الشريعة فيتعلق بها حمد اوذم ولكن هي في عرف الناس يعبر عنها عن المجامع كما في حديث هرقل انه جمع الروم في دسكرة ،ويقال للمجتمعين على شرب الخمر انهم في دسكرة فلا يتعلق بهذا اللفظ حمد ولا ذم، وهو الى الذم اقرب لان الغالب في عرف الناس انهم يسمون بذلك الاجتماع على الفواحش والخمر والغناء

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل مسلم لكنه من فروض الكفايات فان قام بهما من يسقط به الفرض من ولاة الامر أو غيرهم والا وجب على غيرهم ان يقوم من ذلك بما يقدر عليه

﴿ فصل ﴾

(مم خلق النبي (ص) وبم تتفاضل المخلوقات)

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق مما يخلق منه البشر ولم يخلق أحد من البشر من نور بل قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال «ان الله خلق الملائكة من نور، وخلق ابليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ماخلقت منه فقط بل قد يخلق المؤمن من كافر والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكابراهيم من آزر، وآدم خلقه الله من طين فلما سواه ونفخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيه من روحه واسجدله الملائكة وفضله عليهم بتعليمه اسماء كل شيء، وبأن خلقه بيديه، وبغير ذلك. فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور، وهذه مسئلة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع فان فضل بني آدم هو باسباب يطول شرحها هنا وانما يظهر فضلهم اذا دخلوا دار القرار (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة ثم انتقل من صغر الى كبر، ثم من دار الى دار، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله وانما يظهر فضله عند كمال احواله، بخلاف الملك الذي تشابه اول امره وآخره. ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الانبياء حيث نظر الى أحوال الانبياء وهم في اثناء الاحوال قبل أن يصلوا الى ماوعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال.

وقد ظهر فضل نبينا على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الاقلام، وعلا على مقامات الملائكة والله تعالى اظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الانبياء والاولياء مالم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ماتفرق في المخلوقات، فخلق بدنه من الارض وروحه من الملا الاعلى. ولهذا يقال هو العالم الصغير وهو نسخة العالم (الكبير) ومحمد سيد ولد آدم وافضل الخلق واكرمهم عليه ومن هنا قال من قال ان الله خلق من اجله العالم، أو إنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيا ولا سماء ولا ارضا ولا شمسا ولا قمرا، لكن ليس هذا حديثا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا صحيحا ولا ضعيفا ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل ولا يعرف عن الصحابة بل هو كلام

لا يدري قائله، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله (سخر لكم ما في السموات وما في الارض واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) وقوله (١) (الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وامثال ذلك من الآيات التي يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبني آدم ومعلوم أن لله فيها حكما عظيمة غير ذلك واعظم من ذلك، ولكن يبين لبني آدم ما فيها من المنفعة وما اسبغ عليهم من النعمة فاذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة اخرى وكذلك قول القائل لولا كذا ما خلق كذا لا يقتضي أن لا يكون فيه حكم اخرى عظيمة، بل يقتضي اذا كان افضل صالحي بني آدم وافضلهم محمد، وكانت خلقته غاية مطلوبة، وحكمة بالغة مقصودة من غيره، وصار تمام الخلق، ونهاية الكمال به حصل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم، والله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة. وسيد ولد آدم هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائه قال صلى الله تعالى عليه وسلم « إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » أي كتبت نبوتي واظهرت لما خلق آدم قبل نفخ الروح فيه كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد، اذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه. فاذا كان الانسان هو خاتم المخلوقات وآخرها وهو الجامع لما فيها، وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا، ومحمد

(١) سقط من الاصل آخر الآية السابقة وأول الآية اللاحقة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انسان هذا العين ، وقطب هذه الرحى ، واقسام هذا الجمع كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات ، فما ينكر أن يقال انه لاجله خلقت جميعها ، وإنه لولاه لما خلقت ، فاذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قبل ذلك

وأما اذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى باشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية كان ذلك مردوداً غير مقبول فقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فأنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد قال تعالى (ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم ، انما الله اله واحد) والله قد جعل له حقا لايشركه فيه مخلوق فلا تصلح العبادة إلا له ولا الدعاء إلا له ، ولا التوكل الا عليه ، ولا الرغبة الا اليه ، ولا الرهبة الا منه ، ولا ملجأ ولا منجا منه الا اليه ، ولا يأتي بالحسنات الا هو ، ولا يذهب السيئات الا هو ولا حول ولا قوة الا به (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه * ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً * لقد احصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فجعل الطاعة لله والرسول ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده ، وكذلك في قوله (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فالايتاء لله والرسول . وأما التوكل فعلى الله وحده ، والرغبة الى الله وحده

(له بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كلمة في فوائد كتابي المغني والشرح الكبير

يقول محمد رشيد رضا صاحب منار الاسلام :

كنت رأيت كلمة سلطان العلماء في عصره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى في تفضيل كتابي المحلى لابن حزم والمغني للشيخ الموفق على غيرهما من كتب الفقه الاسلامي قبل أن أراهما، فدعتني الرغبة في تعرف قيمة هذه الشهادة الى الاختلاف الى خزانة الكتب الكبرى (المكتبة المصرية) مراراً للنظر في الكتابين ، وقرأت عدة مسائل من كل منهما رأيتها كافية في معرفة قيمة الشهادة وصحة الحكم، وعلمت أن العلماء الذين قالوا إن ابن عبد السلام وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق لم يقولوا إلا الحق

فأما كتاب المحلي فهو كتاب اجتهاد مطلق وصاحبه أبو محمد بن حزم امام الظاهرية في عصره ، وهو صاحب القلم السيال واللسان الفصيح والحجة الناهضة ، والعارضة التي تأبى المعارضة ، ولولا سلاطة لسانه في الرد على مخالفيه من أئمة أصحاب الرأي وأهل القياس لاتسع نطاق مذهبه ، وكثر الانتفاع بالمحلى وغيره من كتبه ، فهو يذكر المسألة ويستدل عليها ، ويرد على المخالفين فيها، على قواعد الظاهرية من الاخذ بالنصوص المأثورة، أو البراءة الاصلية ، ولكنه لا يكتفي بمقارعتهم بالدليل ، بل يرميهم بالجهل والتضليل ، غير هياب لعلو أقدارهم ، ولا وجل من كثرة أتباعهم وأنصارهم ، واذا أراد الله تعالى أن يتجدد فقه الاسلام فلابد أن يعرف المجددون له من قدر كتابه ما عرف العز بن عبد السلام ، ولا بد أن يطبعوه في يوم من الايام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما المغني فصاحبه الموفق فقيه حنبلي ،وهو مع ذلك محدث أثري، وقد ألف عدة كتب في فقه الحنابلة ، وأراد أن يكون كتابه المغني في فقه المسلمين كافة ، فهو يذكر أقوال علماء الصحابة والتابعين وعلماء الامصار المشهورين ، كالائمة المتبوعين ، ويحكي أدلة كل منهم، واذا رجح مذهب الحنابلة في كثير من المسائل فهو لا ينتقص غيرهم ، ولا يحمله التعصب على كتمان شيء من أدلتهم ، ولا على تكلف الطعن فيها كما يفعل أهل الجمود من المقلدين ، فالمزية الاولى لكتاب المغني أنه لخص لنا مذاهب فقهاء المسلمين المجتهدين بأدلتها في امهات الاحكام ومهمات المسائل فأغنانا عن مراجعة كتب المذاهب الكثيرة فيما نحتاج الى الوقوف عليه منها ؛ وعن مراجعة كتب السنن والآثار لمعرفة أدلتها ومذاهب الصحابة والتابعين ومسائل الاجماع والخلاف ، على أن المصنفات التي تتوسع في رواية هذه الآثار لم تطبع ونسخها الخطية قليلة الوجود كمصنفات ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وابن المنذر

ومن المعلوم أن كتب فقه المذاهب المتبعة والخلاف منها مالا تذكر فيه الادلة، ومنها ما يذكر فيها ما يؤيد مذاهب مصنفيها ويضعف المذاهب المخالفة لها ولو بضروب من التأويل والتحريف وتضعيف الاحاديث التي لا توافق مذهب المؤلف وان كانت صحيحة أو حسنة ان امكن ، وتقوية الاحاديث التي توافقه وان كانت ضعيفة أو السكوت عن نقل الطعن فيها، وصاحب المغني لا يتعمد مثل هذا ، فهو يرجح ما يعتقد رجحانه من أدلة الحنابلة ولا يتكلف الطعن في أدلة من خالفهم ، ولولا هذا وذاك لما فضله ابن عبد السلام على كتب الشافعية وكان من أجل علمائهم وهي التي يشهد لها من لم يعرف من مزايا تحريرها ما يعرفه هو بأنها فاقت كتب سائر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المذاهب في دقة التحرير والاستدلال ، والجزم بالصحيح من الاقوال ، وكان يعتمد على مراجعته في الفتوى اذ صار يفتي بالدليل ويسلك سبيل الاجتهاد

عرفت المغني فتمنيت لو يسخر الله تعالى من يطبعه ليعم نفعه الذي هو عندي فوق ما كان عند العز بن عبد السلام ، وكان صديقنا حسن باشا عاصم خادم الامة والملة رحمه الله تعالى يقول : اذا يسر الله لنا طبع كتاب (المحكم لابن سيده) فانني أموت آمنا على اللغة العربية أن تموت — ذلك لما سمعه من امام اللغة في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي من الثناء على المحكم وعلى النسخة الصحيحة الموجودة منه في المكتبة المصرية — وكان كلما قال لي هذه الكلمة أقول له : واذا يسر الله تعالى لكتاب المغني من يطبعه فأنا أموت آمنا على الفقه الاسلامي أن يموت . ثم مازلت افكر في السعي لطبعه الى أن هداني الله تعالى الى تبليغ امنيتي هذه الى السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل امام نجد وملحقاتها فبلغت عنه (أولا) انه أيد الله به العلم والدين ، وأعز بسيفه الاسلام والمسلمين ، عازم على طبع هذا الكتاب مع كتب اخرى لاحياء العلم وتوسيع نطاقه في بلاده — ثم خاطبني هو (آخرا) في طبعه مع كتاب الشرح الكبير ، وطبع تفسيري ابن جرير وابن كثير ، وكتب اخرى من كتب السنة والفقه . وتلا ذلك ارساله المغني والشرح الكبير للمقنع ليطبعا معا . وكذا غيرهما مما عزم على طبعه ، وقد شرعنا في طبعهما والمطبعة غير مستعدة لانجاز مطبوعات كبيرة كثيرة فأخذنا في اعدادها لذلك وسيحصل المراد عن قريب بفضل الله تعالى وقوته ، وانا وقد نجز الجزء الاول من الكتابين نبين بالايجاز فوائدهما للامة الاسلامية وكونهما في الفقه الاسلامي العام لا فقه الحنابلة وحدهم فنقول :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد في اختلاف الامة، وسيرة الائمة

قال تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) وقد شبه النبي (ص) المؤمنين بأعضاء الجسد الواحد ، ولم يكن شيء أبغض اليه بعد الكفر بالله من الاختلاف والتنازع ولو في الامور العادية ، ولما كان الاختلاف في الفهم والرأي من طباع البشر (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) خص الاختلاف المذموم في الاسلام بما كان عن تفرق أو سببا للتفرق ، وجرى على ذلك السلف الصالح فحظروا فتح باب الآراء في العقائد وأصول الدين ، وحتموا الاعتصام فيها بالمأثور من غير تأويل ، وخصوا الاجتهاد بالاحكام العملية ، ولا سيما المعاملات ، وكان بعضهم يعذر كل من خالفه في المسائل الاجتهادية ولا يكفره موافقته في فهمه

ثم ان كثيراً من كبار العلماء حاولوا أن يجعلوا اختلاف العلماء في مسائل الاحكام رحمة بهذه الامة ، وتحقيقا ليسر دينها الذي ثبت بنصوص الكتاب والسنة ، ويتقوا ما حذر الله تعالى في كتابه من مضار التفرق والاختلاف الذي أفسد على الامم السابقة دينها ودنياها ، وأنذرنا الله تعالى أن نكون مثلهم بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - الى قوله - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم) وقد وجد في بعض الكتب حديث مرفوع اشتهر على الالسنة وهو « اختلاف امتي رحمة » ولما لم يوجد له سند في شيء من كتب السنة قال بعضهم لعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا - احتراما لمن ذكروه في كتبهم بالقبول أو التسليم ، وحرصا على العمل بمعناه.

ولكن المتعصبين للمذاهب أبوا أن يكون الاختلاف رحمة ، وشدد كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منهم فى تحتيم تقليد مذهبه، وعدم الترخيص للمنتمين اليه في تقليد غيره ، ولو لحاجة أو ضرورة ، وكان من مناظراتهم فى ذلك من طعن بعضهم فى بعض ما هو معروف فى كتب التاريخ والتراجم وغيرها كالاحياء للغزالي ، وصار بعض المسلمين اذا وجد فى بلد يتعصب أهله لمذهب غير مذهبه كالبعير الاجرب بينهم

وقد وقع من الفتن بين المختلفين فى الاصول وفى الفروع ما سود صحف التاريخ ، على ان الخلاف في الفروع أهون وأقل شرا ، وقد ضعف في هذا الزمان بضعف أسبابه فى أكثر البلاد ، ولكننا لا نزال نسمع بمنكرات قبيحة منه فى أخرى. من ذلك أن بعض الحنفية من الافغانيين سمع رجلا يقرأ الفاتحة وهو بجانبه فى الصف فضربه بمجموع يده على صدره ضربة وقع بها على ظهره فكاد يموت. وبلغني أن بعضهم كسر سبابة مصل لرفعه إياها فى التشهد ، وقد بلغ من ايذاء بعض المتعصبين لبعض فى طرابلس الشام في آخر القرن الماضي أن ذهب بعض شيوخ الشافعية الى المفتي وهو رئيس العلماء وقال له : اقسم المساجد بيننا وبين الحنفية فان فلانا من فقهائهم يعدنا كاهل الذمة بما أذاع فى هذه الايام من خلافهم فى تزوج الحنفي بالشافعية وقول بعضهم لا يصح لانها تشك فى ايمانها لان الشافعية وغيرهم من الاشعرية يجوزون أن يقول المسلم : أنا مؤمن ان شاء الله . وقول آخرين بل يصح نكاحها قياسا على الذمية !

فاين هذا التعصب والايذاء والتفريق بين المسلمين بالآراء الاجتهادية من تساهل السلف الصالح ، وأخذهم بما أراده الرحمن من اليسر في الشرع وانتفاء الحرج فيه ، واتقائهم التفريق بين المسلمين بظنون اجتهادية رجح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بها كل ناظر مارآه أقرب الى النصوص أو الى حكمة الشارع ، حتى كان أشهر الائمة لايستحلون الجزم بالحكم فيها ، فيقول أحدهم أكره كذا ، أواستقبحه ، أو أخشى أن يكون كذا أو لا ينبغي ولا يصلح ولا يعجبني أو لاأحبه ولااستحسنه ، ويقول في مقابل ذلك يفعل السائل كذا احتياطا أو أحب كذا أو يعجبني أو أعجب إليّ وهذا أحسن . هكذا كان يقول الامام أحمد في المسائل الاجتهادية أو فيما لا نص صحيحا صريحا فيه من الكتاب أو السنة ويؤثر نحوه عن غيره ، ولكن مدوني المذهب جعلوا هذه التقوى والورع في التشريع قواعده في أحكام التكليف وطرق الاستنباط والاستدلال . وصارت الحنابلة فرقة ذات مذهب مستقل في الفروع ، بل صار المتكلمون يعدونهم فرقة مستقلة في أصول العقائد أيضا ، وانما كان الامام احمد رحمه الله تعالى إماما لجميع أهل السنة في الاصول والفروع باستمساكه في أصول الدين والعبادات بنصوص الكتاب والسنة وما صح عن علماء الصحابة من فهم وهدي وعمل مفسرلهما ، ولكن أصحابه حرصوا على مانقلوا عنه من فهم واستنباط أن يضيم فدونوه كما فعل سائل الائمة وأصحابهم لا ليقلدلذاته بل لاجل فتح أبواب العلم وتسهيله لطالبيه من الافراد في العبادات ومن الحكام في الامور القضائية والدولية ، وكانوا يقرنونه بأدلته ليكون الدليل هو العمدة في العمل وفي الترجيح بينه وبين غيره ، ولم يقصد أحد منهم أن يكون شارعا أو كالشارع في كونه يتبع لذاته فضلا عن التزام طائفة من الامة للتعصب له بمثل ماوقع ، ولا أن تفترق الطوائف المقلدة لكل منهم وتتعادى فتكون كمتبعي الشرائع المتعددة المختلفة ، هذه معاص مجمع على تحريمها .

قال الامام المزني صاحب الامام الشافعي في أول مختصره المشهور

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد البسملة ما نصه : قال أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني (رحمه الله) « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه ، وبالله التوفيق » اه

وقال ملا على القاريء الحنفي المحدث في رسالته التي ألفها في اشارة المسبحة : وقد اغرب الكيد اني حيث قال « العاشر من المحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث » أي مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث الرسول (ص) وهذا منه خطأ عظيم ، وجرم جسيم ، منشؤه الجهل لقواعد الاصول ، ومراتب الفروع من المنقول ، ولولا حسن الظن به ، وتأويل كلامه بسببه ، لكان كفره صريحا ، وارتداده صريحا ، فهل لمؤمن أن يحرم ماثبت فعله عنه(ص) مما كاد نقله أن يكون متواترا ، ويمنع جواز ماعليه عامة العلماء كابرا عن كابر مكابرا ، والحال أن الامام الاعظم ، والهمام الافخم ، قال : لايحل لاحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلي في المسألة » الخ ماقاله ليثبت به ان قاعدة ابي حنيفة رحمه الله تعالى في الاتباع تقتضي رفع المسبحة في التشهد لثبوت الحديث به

ولكن المتعصبين الذين يقطع بعضهم أصبع من رفع سبابته تقليداً لمن حرمه من أهل مذهبهم لا يعلمون أنهم هم الذين يرتكبون المحرم بالاجماع عقابا على الواجب أو المندوب بالاجماع أو بما صح من سنة النبي (ص) لا على مخالفة سنته(ص)كما سمعته باذني من بعض طلاب العلم الافغانيين في مسجد لاهور الجامع في الهند وقد سألتهم عن صحة مانقل عن بعض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهل بلادهم في ذلك فقالوا: نعم وعللوه بانه عقاب على مخالفة الرسول (ص) وترك سنته أي وعلى عداوة شرع الله تعالى واستحلال ما حرمه اذ قال بعض فقهائهم بتحريم رفع الاصبع في التشهد، والتحريم في عرف أهل الاصول خطاب الله المقتضي لاترك اقتضاء جازما. وأين هذا الخطاب الالهي القطعي؟ هل هو قول مثل الكيداني المصرح بمخالفة أهل الحديث؟؟

ان الاحكام العملية التي هي موضوع الفقه منها ما ثبت بالدليل القطعي المجمع عليه كاركان الاسلام وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهو ما يكون باتباعه المؤمن به مسلما وبجحده أو استحلال مخالفته كافراً وبمخالفته فاسقا على التفصيل المعروف، ومنها ما هو محل النظر والاجتهاد وهو الذي وقع فيه الخلاف بين علماء الامة للاختلاف في رواية النصوص او في دلالتها، أو لعدم العلم بالنص والرجوع في الاستنباط الى القواعد العامة او القياس المختلف في حجيته (١) وكانوا متفقين على أن من خالف مضمون نص لم يبلغه أو معنى نص غير قطعي الدلالة لانه لم يظهر له أو بذل جهده في استبانة مراد الشارع في مسألة فترجح عنده فيها شيء فعمل به مخطئا فهو معذور، فهل يكون بمخالفته لاجتهاد غيره مأزورا غير معذور؟

ان النبي (ص) لم يجعل قوله تعالى في الخمر والميسر (واثمهما أكبر من نفعهما) نصا في تحريمهما على جميع الامة وانما حرمهما به من فهم

(١) أنكر الظاهرية من أهل السنة وبعض المعتزلة حجية القياس مطلقا، ومنعه بعض الاصوليين في أسباب الاحكام وفي الحدود والكفارات وبعضهم في العبادات لانها هي المرادة باكمال الله الدين وخصها بعضهم بالامور التعبدية كل ما لا يعقل، ومذهب مالك الاخذ في العبادات بظواهر نصوص الكتاب والسنة واعتبار المصالح والتوسع في الاجتهاد في الاحكام الدنيوية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منه الدلالة على التحريم فترك شرب الخمر والمقامرة — وهو ما يقطع بمثله الفقهاء كافة — حتى اذا ما نزل فيهما وفي الانصاب والازلام ان ذلك كله (رجس من عمل الشيطان) والامر القطعي بالتحريم وهو قوله تعالى (فاجتنبوه) الى قوله تعالى (فهل انتم منتهون) اسرعوا على تركه، وجعله النبي (ص) تشريعا عاما يخاطب به كل مؤمن، واهرق جميع الصحابة الذين كانوا يشربون الخمر ما كان عندهم منها فاخذ علماء السلف من هذا أن التشريع العام ما كان بهذه الدرجة من الصحة والصراحة القطعية في النصوص، وان ما دونه مما فيه مجال للاجتهاد في الرواية أو الدلالة محل سعة لا يكلف كل مؤمن الاخذ به، وانما يكلفه من ثبت عنده أو وثق بعلم مفتيه به ودينه فقلده فيه. ولم يكونوا يبيحون أن يكون مما يجبر عليه أحد أو تفرق كلمة المسلمين فيه، وقد كان النبي (ص) يقر كلا من المختلفين في الفهم على اجتهاده فيما هو محل الاجتهاد، كمسألة نهيه صلاة العصر الا في قريظة: أقر من أخذ منهم بمنطوق النهي فلم يصلها إلا في قريظة، ومن صلى أولا ثم ادرك معه قريظة لانهم فهموا أن المراد من النهي عدم التخلف عن الخروج وادراك قريظة في الوقت المراد

وبناء على هذا لم يرض الامام مالك رحمه الله تعالى أن يحمل هارون الرشيد جميع المسلمين على العمل بموطئه على ما كان من تحريه في روايته ومن مواطأة علماء دار الهجرة له عليه — وبناء عليه كان الامام المجتهد منهم ينهى من يستفتونه أن يتخذوا فتواه دينا يتقلدونه أو أن يجعلوه سببا للتفرق — وبناء عليه كان أحدهم يأخذ باجتهاد غيره ترخصا أو موافقة لجماعة المسلمين

روي عن الامام احمد أنه كان يرى الوضوء من الحجامة والفصد فسئل عمن رأى الامام احتجم وقام الى الصلاة ولم يتوضأ أيصلي خلفه؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقال كيف لا اصلي خلف مالك وسعيد بن المسيب؟ وفي رواية انه قال للسائل أأنهاك أن تصلي مع فلان وفلان؟ وكان أبو حنيفة واصحابه يرون الوضوء من خروج الدم ولكن أبا يوسف رأى هارون الرشيد احتجم وصلى ولم يتوضأ — وكان مالك افتاه بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم — فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة . واغتسل أبو يوسف في الحمام وصلى الجمعة ثم اخبر بعد الصلاة انه كان في بئر الحمام فأرة ميتة فلم يعد الصلاة وقال : نأخذ بقول اخواننا من أهل الحجاز « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث » ولم يكن هذا تقليدا منه لانه يعرف دليله وهو حديث القلتين الذي ذكره ولكنه غير قطعي الرواية والدلالة كما أنه ليس دون قولهم في حد الماء الكثير

ونقل أن الشافعي رحمه الله ترك القنوت في الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية في مسجد إمامهم (لعله في المكان المعروف اليوم بالاعظمية من ضواحي بغداد) فقال الحنفية انه فعل ذلك أدبا مع الامام ، وقال الشافعية بل تغير اجتهاده في ذلك الوقت ، والظاهر مما تقدم أنه لم يرد أن يخالف جماعة من المسلمين مخالفة عملية ، في مسألة اجتماعية غير قطعية ، فان اختلاف الظواهر من اسباب اختلاف البواطن ، كما يؤخذ من حديث « عباد الله لتسوُنَّ صفوفكم ، أو ليخالفن الله بين وجوهكم » رواه الجماعة من حديث النعمان بن بشير مرفوعا ولكن سقط من رواية البخاري كلمة « عباد الله » قال النووي في شرح مسلم بعد ذكر حمل الوجوه على حقيقتها : والاظهر والله اعلم أن معناه يوقع بينكم العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما تقول تغير وجه فلان ، أي ظهر لي من وجهه كراهة ، لان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم ، واختلاف الظواهر ، سبب لاختلاف البواطن اه ويؤيده رواية أبي داود له بلفظ « أو ليخالفن الله بين قلوبكم » ويؤيد المعنى من المعقول والتجارب ماثبت من أن الاتفاق في العادات واللباس من اسباب التا لف، والاختلاف فيها من اسباب التناكر والتنافر ، فكيف اذا كان الخلاف في الدين ، وكان كل فريق يعتقد أن الآخر مخالف بمخالفته لله ولرسوله بدعواه ان ما عليه اهل مذهبه هو الحق ، وما خالفهم فيه غيرهم باطل ؟

ولكن المتعصبين للمذاهب لا يفقهون مايفقهه مثل الشافعي من حكم الدين ومقاصده فهم يتحرون مسائل الخلاف ويلتزمونها ، من حيث يترك بعضهم العمل بكثير من مسائل الاتفاق وان كانت مجمعا عليها ، ولهم أشد استمساكا بخلاف الذين يعيشون معهم ، منهم بخلاف البعداء عنهم ، فهم يقيمون في المسجد الواحد جماعتين أو أكثر في وقت واحد ، ويرسل بعضهم أيديهم ويقبضها بعض في الصف الواحد... وبذلك جعلوا الاختلاف الاجتهاد بين العلماء نقمة ، على حين كان يعد عند اولئك العلماء نعمة ، وإنما سبب ذلك اتباع الاهواء ، وتنازع الزعماء ، الذين ورد في وصفهم الاثر بأنهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها ، وما اغرى فقهاء المذاهب المتبعة بالتعصب الذي أطال أبو حامد الغزالي نعيه عليهم في احيائه الاحب الرياسة كما قال ، بل ما اغراهم بالاشتغال بها دون غيرها ، إلا ما بيّنه المقريزي المؤرخ الحكيم من وقف الاوقاف عليها ، والتزام بعض الملوك والامراء لتقليد بعضها والحكم به ، ولولا ذلك لفعلوا باقوال أئمة هذه المذاهب ، مافعله باقه الى غيرهم من علماء الصحابة والتابعين من المزج

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعدم الافراد بالتأليف والتدريس

وجملة القول أن التفرق بين المسلمين باختلاف المذاهب والآراء وتعصب كل شيعة لمذهب منها في الاصول أو الفروع هو من أكبر الكبائر الثابتة بنصوص الكتاب والسنة القطعية المجمع عليها ، ولا شيء منها بقطعي مجمع عليه ، فمن مقتضى أصولهم كلهم وجوب ترك كل أسباب هذا التفرق والاختلاف حتى قال الغزالي في القسطاس المستقيم بالاكتفاء بالعمل بالمجمع عليه وعد المسائل الظنية المختلف فيها كأن لم تكن ؛

ثم إن ما ترتب على التفرق من الضرر والفساد المدون في التاريخ ، والذي أفضى في هذه الازمنة الى ضعف المسلمين وذهاب ملكهم وتمكين الاجانب من الاستيلاء على بلادهم وما زالوا ينفرون بعض المختلفين في المذاهب من بعض كما هو واقع في اليمن ونجد مع غيرهما من بلاد العرب — كل ذلك مما يؤكد وجوب تلافي شرور هذا التفرق وجمع الكلمة ووحدة الامة ، وكان هذا الغرض من أهم ما أنشأنا لاجله مجلتنا (المنار) وأول ما كتبناه من التفصيل في ذلك (محاورات المصلح والمقلد) التي نشرت في المجلدين ٣ و ٤ أي من أكثر من ربع قرن ثم جمعت في كتاب مستقل منذ بضع عشرة سنة .

(للكلام بقية)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رفيق العظم

(وفاته وترجمته)

في يوم عرفة (٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٣ الموافق ٣٠ حزيران (يونيه) سنة ١٩٢٥ م) فجعت البلاد المصرية والسورية، بل الامة العربية، برجل كان من أعلى رجالها قدراً، وأنبههم فيها ذكراً، واعظمهم لديها ذخراً، رجل الحسب الشامخ، والادب العالي، والفكر المنير، والوطنية الصادقة، العالم المؤرخ، الكاتب الاجتماعي، العامل السياسي، صديقي الوفي، (رفيق بك العظم) ابن محمود بك خليل العظم من اسرة آل العظم السورية العريقة في المجد، ففقدت الامة بفقده زعيماً كبيراً، ونابغاً حكيماً، وكاتباً قديراً، في زمن هي أحوج فيه الى الرجال المحنكين، والزعماء المخلصين منها الى العافية للابدان، والطمأنينة للحيران، فرحمه الله تعالى

نشأته الاولى

ولد الفقيد في دمشق سنة ١٣٨٢ هـ ونشأ كما كان ينشأ أمثاله من أبناء الوجهاء المترفين في ذلك العهد فلم يعن والده بتعليمه في مدارس العلم العربية لانها خاصة برجال الدين، ولا في مدارس الحكومة العثمانية الاعدادية والعالية، لعدم شعوره بالحاجة الى تخريجه فيها، أوعدم رغبته بجعله من عمالها وموظفيها، الذين لاتكنهم دار، ولا يقر لهم بين أهلهم قرار، أولمحض الاهمال، على انه هو لم يتعلم تعلما منظما وانما أخذ بعض المبادي عن بعض شيوخ عصره وكان يعاشر العلماء والادباء والمتصوفة ويطالع الكتب ودواوين الشعر لاجل التسلية، فكان بذلك شاعرا ومؤلفا في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الادب والتصوف وجاء فقيدنا وارثا له في ذكائه ونشأته ولكنه فاقه في الجد والعلم النافع والعمل ، أخذ التعليم الابتدائي في كتاب أهلي، ثم أخذ شيئاً من مبادىء اللغة العربية عن الاستاذ الفاضل الشيخ توفيق أفندي الايوبي الشهير ، وكان كل ما حصله بعد ذلك بمطالعاته الشخصية فهل كان يدور في خلد أحد أن مؤلف كتاب أشهر مشاهير الاسلام وغيره من الكتب والرسائل والمقالات الكثيرة في كبرى الجرائد والمجلات المصرية لم يقرأ كتاباً حافلا من كتب النحو والصرف ولا من كتب المعاني والبيان ، ولم يتلق علماً ولا فناً قديماً ولا حديثاً عن استاذ ؟ فما هذا الذكاء النادر الذي وضعه في مصاف العلماء المصنفين، والكتاب المجيدين؟ وما تلك الهمة العالية التي رفعته الى مقام الزعماء السياسيين، ورجال الانقلاب المدبرين؟

كان رفيق ذكي الفؤاد ، ميالا بفطرته الى العلم والجد ومعالي الامور، عزوفا عن سفسافها وصغائرها ، نبت به هذه الفطرة الزكية عن صرف أوقات صباه في اللهو واللعب مع أمثاله من أبناء الموسرين ، وجذبته الى معاشرة أهل العلم والادب والافكار في الامور العامة كالاستاذ المرحوم الشيخ طاهر الجزائري والاستاذ الشيخ سليم البخاري والاستاذ الشيخ توفيق الايوبي من كهول مشيخة الشام والاستاذ الشيخ محمد علي مسلم ومحمد افندي كرد علي من الاتراب، وحُبب اليه البحث ومطالعة كتب الادب والتاريخ وكانت نزعته العلمية وكذا الاجتماعية إسلامية، حتى ان علماء الاقطار البعيدة الذين وصلت اليهم كتبه ورسائله بعد ذلك كانوا يظنون أنه من علماء الدين

اشتغاله بالسياسة وهجرته الى مصر

ثم إنه كان يعاشر أحرار رجال الحكومة العثمانية من الترك وغيرهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيضا، وتعلم اللغة التركية باجتهاده حتى صار يقرأ كتبها وجرائدها. واذكان ميالا بطبعه الى السياسة والامور العامة استمالة بعضهم الى الاشتغال معهم في جمعياتهم السرية فدخل أولا في جمعية الدستور التى أسسها في الشام اسعد بك مدير البوليس فيها ثم في جمعية الاتحاد والترقي

ولما اشتد السلطان عبد الحميد في مطاردة السياسيين العثمانيين طلاب الدستور وطفق ينكل بمن يتعذر استمالته منهم بالوظائف أو الرتب والنياشين ازمع الفقيد الهجرة الى مصر ، ويقول شقيقه الكبير عثمان بك إن ذلك كان سنة ١٨٩٤ م

وبعد استقراره في مصر واتخاذها دار هجرة ومقامة طفق ينشر المقالات السياسية والاجتماعية في أشهر جرائدها اليومية : الاهرام فالمقطم فالمؤيد فاللواء ، وفى أشهر مجلاتها كالمقتطف والهلال والمنار والموسوعات وكان يختلف الى مجالس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ولا سيما بعد تلاقينا وتوادنا ، وكان له بالشيخ علي يوسف صاحب المؤيد صلة ود وثيقه ، ثم اكان من اصدقاء الزعيمين السياسيين مصطفى كامل باشا ومحمد فريد بك منذ نشأتهما السياسية الاولى وظهورهما في ميدان السياسة الى آخر عمرهما حتى إنه رثى محمد بك فريد حين علم بموته - طريد وطنيته - فى اوربة بابيات من الشعر وجدهما شقيقه عثمان بك في أوراقه ، وقد رثى قبله الاستاذ الشيخ طاهرا ، ولعل هذين الرثائين آخر مانظم ، وليسا كل مانظم ، فقد كان رحمه الله ينظم الشعر بما يجده من الداعية فى نفسه لارضاء نفسه ، ولكنه لم يكن يحب أن ينشر شيئا من شعره في الجرائد ولا أن يظهره للناس ، إما لانه لم يكن يراه بالمنزلة اللائقة بشهرته ، أو لانه لم يكن يحب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يسمى شاعراً، واذ كان الشعر عنده امراً ثانوياً ذكرناه في ترجمته استطراداً

تلاقينا وتعاوننا على خدمة الامة

في منتصف سنة ١٣١٥ (الموافق لخريف سنة ١٨٩٧ م) هاجر كاتب هذه الترجمة الى مصر، وفي الربع الاخير منها أنشأ (المنار) فكان سبباً للتعارف والتآلف بينه وبين الفقيد فالتعاون على الاصلاح السياسي والاجتماعي فالاشتراك في الاحزاب والجمعيات السرية والجهرية

وكانت اول جمعية سياسية أسسناها بمصر (جمعية الشوري العثمانية) وقد اشترك في تأليفها معنا رجال من سائر الشعوب العثمانية الكبرى وفي مقدمتهم الترك والجركس والارمن، وكان من اعضائها المؤسسين الضابط صائب بك الذي كان حاجباً لصاحب الدولة احمد مختار باشا الغازي ومندوباً لجمعية الاتحاد والترقي بمصر ثم ترك خدمة المندوب العثماني السامي إيثاراً للسياسة التي تغضب السلطان عليها، ومنهم الدكتور عبدالله جودت بك المشهور أحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي اول مرة، وكان هو (السكرتير التركي) لها، وكان الفقيد أمين صندوقها وابن خاله حقي بك (سكرتيرها العربي) وكاتب هذه السطور رئيس مجلس ادارتها

كان تأسيس هذه الجمعية موافقاً لرأي صاحب الدولة احمد مختار باشا الغازي المندوب العثماني السامي بمصر وا لذي استشرته في ذلك وطلبت منه ان يمنحها رعايته ويأذن لنجله محمود باشا بأن يكون الرئيس العام أو رئيس شرف لها فيمدها بمساعدته. فقال ان الاصلاح لا يأتي من الاعلى ومن رجال الدولة انما يأتي من وسط الامة ومن الطبقات الدنيا فيها، وأخبرني ان السلطان علم بوجود الجمعية وهو أنه يرسل البرقيات اليه تترى في السؤال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنها وعن مؤسسيها ويسميها جمعية إفسادية ، وانه تجاهل في جوابه أولا ثم كتب اليه بان لا إفساد ولا ضرر منها فانها مؤلفة من بعض أهل العلم وابناء الاسر الوجيهة المخلصة للدولة

ثم علمنا من شأن اهتمام السلطان بها ماهو فوق ذلك فقد روي لنا حقي بك عن خاله المرحوم صادق باشا المؤيد عن السلطان نفسه ان نبأ هذه الجمعية أقض مضجعه فبقي ثلاث ليال لا تذوق عيناه النوم إلا غرارا، ولم يقر له قرار حتى عرف مؤسسيها من بعض جواسيسه بمصر (وهو رجل اسمه كامل بك) دخل الجمعية بعد تأسيسها وأظهر من الاخلاص لها والعناية بخدمتها ماكان محل اعجاب جميع الاعضاء

ولا غرو، فقد كان عمل الجمعية عظيما : تأسس لها فروع في الاقطار المختلفة ، وكانت تطبع المنشورات بالعربية وبالتركية وترسلها الى فروعها في البرد الاجنبية فيوزعونها في الولايات التي يقيمون فيها وفيما جاورها بل كان يرسل بعض هذه المنشورات في البواخر الروسية مع بعض المسافرين والمستخدمين فيها الى ثغور البحر الاسود فيأخذها هنالك منهم من يتولون ارسالها الى جميع بلاد الاناضول

ثم أصدرت الجمعية (في فبراير سنة ٩٠٧) جريدة باسمها (الشوري العثمانية) استغنينا بها عن المنشورات وكان الفقيد بحرر القسم العربي منها وحقي بك يحرر القسم التركي إما انشاء واما ترجمة لما يكتبه الفقيد أو غيره منا بالعربية ، وقلما كنا نساعدهما على ذلك ، وكان ينشر فيها بعض المقالات باللغة الفرنسية أيضا

وبلغ من عناية جمعية الاتحاد والترقي بالجمعية فوق ماكان من التعاون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمراسلة بينهما من أوربة ومن المركز العام في سلانيك ان أحمد رضا بك الشهير جاء من باريس الى مصر لاجل السعي لتوحيد الجمعيتين ، وقد قصد الفقيد أولا وكلمه في ذلك فجاء به اليّ فلما كلمني قلت له ان جمعيتكم تركية وجمعيتنا عثمانية عامة فنحن لا نتفق معكم إلا في مقاومة الاستبداد والظلم والسعي لجعل الحكم بالشورى النيابية . قال ونحن جمعيتنا عثمانية لا يميز قانونها التركي على غيره . قلت هي عثمانية بالقانون تركية بالفعل ، فليس في زعمائها أحد من غير الترك ، فقانونها كقوانين السلطان عبد الحميد ولو كان السلطان عبد الحميد ينفذ قوانين الدولة على علاتها لما أبحت لنفسي ولا لغيري أن يسعى لتغيير شكل الحكومة أو يقاوم نفوذه فيها . . . ثم اتفقنا على ان تعمل الجمعيتان بالتعاون مع بقاء كل جمعية على حالها .

ثم ان جمعية الاتحاد والترقي عادت بعد إعلان الدستور فكتبت الى جمعيتنا من المركز العام تدعوها الى الحلول فيها والاتحاد بها فاشترطنا في ذلك شروطا لم تقبلها ، ولكن الفقيد وحقي بك دخلا في جمعيتهم عند زيارتهما الآستانة بعد الدستور ، وتفرق سائر الاعضاء الذين لم يجمعهم في مصر إلا الاضطهاد ، فلم يبق لجمعية الشورى عمل

أطلت بعض الاطالة في ذكر هذه الجمعية لان عمل الفقيد فيها كان عظيما وقد أنفق من ماله في سبيلها مالم ينفقه غيره ولولا اغتراره بجمعية الاتحاد والترقي لرضي بما ارتأيته من إبقاء فروع الجمعية وتكثيرها في البلاد العربية لتكون قوة للعرب امام تعصب الاتحاديين الترك ، ولكنه قل لي بعد عودته من الاستانة : اني عدت الى جمعيتي الاصلية ، وان بقاء جمعيتنا تفريق غير جائز ، على انه عاد من الآستانة غير راض عن سير الاتحاديين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رضاء تاما ، ثم صار يشاهد آنا بعد آن من تعصبهم على العرب وهضمهم لحقوقهم ما حاول ان يتلافاه بطرق الاقناع فألف في ذلك رسالة طويلة يئس من فائدتها قبل أن يتمها فلم ينشرها وسيأتي الكلام عليها عند ذكر مؤلفاته وآثاره

وكان آخر الجمعيات السرية التي اشتركنا في تأسيسها جمعية عربية أسست للتأليف بين أمراء جزيرة العرب وللتعاون والاتفاق بين الجمعيات السياسية التي أنشئت في الولايات العربية وفي الآستانة لمقاومة تعصب الاتحاديين وضغطهم على العرب ولحفظ حقوق العرب في الدولة والعمل لمستقبلهم

كان تأسيس هذه الجمعية ضروريا لان آفة العرب المفسدة لجميع مواهبهم الفطرية هي التفرق والاختلاف ، وكان الملجيء اليها انكسار الدولة العثمانية في حرب البلقان ، والخوف على البلاد العربية ان تتخطفها الدول المستعمرة ، فرأى المؤسسون ان قوة العرب في جزيرتهم ، وانها لا يمكن الانتفاع بها الا بتأسيس اتحاد حلفي يجمع بين أمرائها ، وكان قد سبق لهذا تمهيد من بعض المؤسسين ، ثم وضع له النظام الذي يرجى تنفيذه ، وأما الجمعيات العربية فكانت مختلفة المقاصد ، وليس بينها من التعارف والاستعداد للاتحاد عند الحاجة ما يؤمن معه سوء المغبة ، ويرجى به حسن العاقبة ، فوضعت الجمعية نظاما لذلك ، ولم يقنع المترجم بضرورة هذه الجمعية الا بعد ان رأى من انكسار الدولة في حرب البلقان ما أقنعه بأنه ليس لها من القوة الذاتية ما يضمن بقاءها ، وانها عرضة للزوال فجأة إذا صدمتها صدمة أخرى ،

الاحزاب الجهرية

وأما الاحزاب الجهرية التي اشتركنا فيها فهي حزب اللامركزية وكان الفقيد رئيسا له وحزب الاتحاد السوري وأمرهما معروف للجمهور فلا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حاجة الى شرح خدمة المترجم لوطنه فيهما. وانما أقول ان حزب اللامركزية كان يراد به خدمة الدولة والبلاد العربية معا، وكان سبب تأسيسه ماذكرآ نفا من سبب تأليف الجمعية العربية وهو ما أنذرت الحرب البلقانية العثمانية من توقع زوال الدولة، وقد كنا نعتقد أن الدولة لا يمكن أن تعيش طويلا اذا أصرت على شكل حكومتها المركزي وتحكيم الترك في جميع شعوب الدولة ، وكان المترجم رحمه الله تعالى حريصاً على بقاء الدولة وكان على هدى وبصيرة في ذلك وكنا متفقين معا على هذا الرأي، وعلى أن العرب يحتاجون الى زمن طويل لترقيه أنفسهم وجمع كلمتهم واستغنائهم عن الدولة ان زالت أو بقيت، وكنا نرى أن الخروج على الدولة ضار وخطره على العرب أشد من خطره على الترك ،ولا أقول إن كل أعضاء الحزب كانوا على رأينا وانما كانوا متفقين على أن شكل الحكم اللامركزي خير لبلادنا ولغيرها. وكان لبعضهم أهواء أخرى وشذوذ في الفكر وفي العمل، ولكن الحزب نفسه لم ينحرف عن قانونه المستقيم

وأما حزب الاتحاد السوري فامره أظهر ، لان العهد به أقرب، وكان الفقيد من المؤسسين له ولكنه تركه منذ سنين واعتزل السياسة وغيرها من الاعمال ، لان صحته ساءت ، واشتد عليه مرض الربو ، وضاعفه تصلب الشرايين فضعف القلب ، حتى أودى ذلك كله بحياته فجأة

هذا واننا لم نختلف في كل هذه المدة في مقصد من المقاصد ولا في مهمات الوسائل أيضاً ، إلا ما كان في أيام حرب المدنية الكبرى فقد اختلفنا في مسائل مهمة لا يحسن في هذه الترجمة ذكرها ، ونحمد الله تعالى ان كان اختلافنا محصورا في مناقشات جرت بيننا ، لم تتجاوزنا الى غيرنا ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آثاره العلمية

(١) ان أجل تأليفه وأعظم آثاره العلمية هو تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) الذى طار به صيته فى الاقطار ، وانما أتم منه اربعة أجزاء طبعت مراراً ونفدت نسخها

(٢) وكتاب (السوانح الفكرية ، فى المباحث العلمية) وهو كتاب اجتماعي أدبي جعله اربعة أقسام : (القسم الاول المدنية ودواعيها ، وأسباب تقدمها او تلاشيها) وفيه ٣ أبحاث (القسم الثانى التربية والاخلاق) وفيه ٤ أبحاث (القسم الثالث الادبيات) وفيها ٤ ابحاث (القسم الرابع مباحث علمية مختلفة) وفيه ٥ ابحاث خامسها (التفرنج) وقد أطال فى ذمه ، ووصف ضرره وشره .

وهذا الكتاب مبيض بخطه في زهاء مائة صفحة من القطع الوسط وانما صده عن طبعه - كما نظن - أنه أثنى في فاتحته على السلطان عبدالحميد فاطراه إطراء لم يلبث ان ظهر له انه مخطىء فيه ، بعد أن انخدع كغيره بما كانت تنشره جميع الجرائد العربية والتركية من مدائحه المنثورة والمنظومة

ويحسن بي ان أذكر عبارته فى ذلك لما فيها من الدلالة اللفظية والمعنوية ، على حال فقيدنا العزيز الفكرية والادبية ، قال :

« وانني لما رأيت أبناء وطني قد تفتحت منهم الاذهان وتنبه بعد الرقدة والفكر ، وسرى سر الحمية فى أمثالي من شبان هذا العصر ، فأخذوا يتتبعون أشتات العلوم والمعارف ، ويتفيؤن تحت ظلها الوارف ، بوجود من لا تكلّ عن الثناء عليه ألسنة رعيته ، وقد اتحدت القلوب تحت راية عدله وشوكته ، السلطان بن السلطان ، السلطان الغازي عبدالحميد ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحفوف من الله بالعز والتأييد ، فقد أحببت إتحافهم بكتاب يروق في عين كل لبيب ، ويحتاج اليه كل أديب أريب ، وشحت بفرائد الفوائد طروسه ، وأبرزت في دست الكمال عروسه ، ليكون بهجة للناظرين ، ولذة للسامعين »

وانني لم أرله رحمه الله أسجاعا كهذه في غير هذا الكتاب الذي كان من أول ما كتب ، وأول ما ألف على ما أعلم ، بيد انه لم يلتزم السجع الا في خطبته فقط ، وهو لا يخلو من لحن فيما هو من ضروريات علم النحو ، وهاك اسماء بقية آثاره القلمية التامة :

(٣) كتاب الدروس الحكمية ، للناشئة الاسلامية) وكفاه تقريظا له ان الاستاذ الامام قرر تدريسه في مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

(٤) رسالة تنبيه الافهام ، الى مطالب الحياة الاجتماعية في الاسلام

(٥) « كيفية انتشار الاديان

(٦) « الجامعة الاسلامية وأوربة

وله خطب علمية ألقاها في بعض المحافل العلمية والمدارس العالية نشر بعضها في المنار وبعضها في مجلة دار العلوم . وهذه يسهل جمعها وطبعها كمقالاته في المجلات . وأما مقالاته في الجرائد فهي كثيرة وجمعها متعذر أو متعسر

وأما الكتب التي شرع فيها ولم يتمها فهي اثنان (احدهما) كتاب في (تاريخ السياسة الاسلامية) رسم له ثلاثة أقسام عصر الترقي الاسلامي وعصر الوقوف وعصر الانحطاط ، وبدأ القسم الاول بخلاصة السيرة النبوية ، والخلافة والوزارة ، والقضاء والولاية ، وأمارة الجيش ، وكتابة الجيش والديوان والعطاء والكتابة العامة والسفارة الخ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكتب منه بعض الابواب ثم وقف قلمه دون اتمامه واتمام أشهر مشاهير الاسلام وغيرهما . ولو اتمه على المنهج الذي وضعه له لكان اجل من تاريخ أشهر مشاهير الاسلام ، بل من اهم الكتب التي يحتاج اليها المسلمون على الاطلاق

(ثانيهما) الرسالة التي سبقت الاشارة اليها في الخلاف بين الترك والعرب وقد كتب منها ٦٧ صفحة كبيرة انتهى فيها الى البحث فيما سماه (أرجوفة الخلافة العربية) فبدأ به ولم يتمه وهذه الرسالة حجة بينة على شدة اخلاصه للدولة العثمانية وكراهته الشديدة للرابطة الجنسية وتنفيره عنها ، وكان رجال جمعيته الاتحادية يتهمونه مع ذلك بعداوتها ويتمنون لو تصل اليه ايديهم ليقتلوه شر قتلة ، وهو لشدة اخلاصه في خدمته للدولة بحزب اللامركزية العثمانية الذي كان رئيساً له صدق الاتحاديين فيما ادعوه من الرغبة في الاتفاق مع العرب واعطائهم حقوقهم عقب مؤتمر اريس العربي الذي عقد هنالك باسم حزب اللامركزية . وانخدع كما نخدع رئيس ذلك المؤتمر اخونا الشهيد السعيد السيد عبد الحميد الزهراوي قدس الله روحه الذي كان من اغتراره بخلابتهم ان دعاني ودعا الفقيد الى الذهاب الى الاستانة للاشتراك في توثيق روابط الاخاء والوحدة بين العرب والترك فاما الفقيد فقد انخدع وزاد في اطمئنانه كتابة بعض اصدقائه من رجال الترك الاتحاديين كجلال الدين بك عارف وأخيه نجم الدين بك فارسل برقية الى الاستانة وعد فيها باجابة الطلب والعزم على السفر وذكر لي ذلك بعد ارسالها فوفقت لاقناعه بالبقاء هنا وقلت له انهم يريدون أن يجمعوا الزعماء العاملين هنالك لينتقموا منهم كلهم ، ولئن أجبناهم ليحيطن بنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا ينجو منا أحد ، وإني لخائف على أخينا السيد عبد الحميد ولكنني ارجح انهم لا يصيبونه باذى وهو منا في مصر لانهم يريدون ان يصيدونا به .

ثم كفأني الفقيد احسن الله اليه على هذا إخلاصا في المودة والنصح لا بقصد المكافأة فاعلم أني سأعود من الهند الى مصر عن طريق العراق (سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢) فارسل الي برقية بان أعود في البحر خوفا علي من فتك احمد جمال باشا السفاك اذ كان وقتئذ والي بغداد ، والقائد العام لجيش العراق ، ولكن الله سلم ، على أن الفقيد لم ييأس من الدولة كل اليأس الا في أثناء الحرب العامة وما كان من جمال باشا فيها

فهذه جملة سيرة فقيدنا السياسية ، ولولا بعض آثاره العلمية لما كان له شيء يؤثر عنه من وراء السياسة الا أخلاقه العالية وآدابه السامية

أخلاقه وآدابه

قد اوتي الفقيد حظا عظيما من الآداب الاجتماعية والفضائل النفسية والفواضل العملية ، كان نزيه اللسان طاهر القلب ، منزها عن الحسد والحقد ، وفيا لاصدقائه ، برا باهله وصولا لرحمه ، متواضعا في عزة نفس ، ذا مروءة صادقة ونفس سخية ويد مبسوطة ، حسن الضيافة ، كثير الصدقات والمساعدات الجمعيات الخيرية ، قليل التبجح والدعوى ، ما عاشره أحد من قومه ولا من غيرهم من الشعوب الا واحبه واحترمه . ومن آدابه التي يجب أن تذكر بالنص في هذه الترجمة الوجيزة أنه تزوج ولم يرزق ولدا ولا كان مغتبطا ولم اسمع منه ولا عنه منذ عقدت له عقد زواجه الى أن توفاه الله تعالى كلمة تؤذن بحسرته على الحرمان من الولد أو الميل الى التزوج بامرأة أخرى مع زوجه أو بعد تطليقها فهذا من أحب الوفاء والصبر والقناعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آداب يقل نظيرها في هذا العصر وفي كل عصر

وكان معتدلا في امور معيشته يقتصر على اللائق به من اللباس، وجيد الطعام، من غير اهتمام بالتطرز، ولا جنوح الى التورن، ولا افناق في التنعم، ولكنه كان شديد الولوع بدخان التبغ وكثير الاختلاف الى بعض المقاهي العامة على قلة عنايته بالملاهي وانما كثر ذلك منه بعد أن ضعف جسمه وصار يتعب من الكتابة والمطالعة

وجملة القول أننا قد فقدنا بفقد هذا الصديق الوفي المهذب وأن الامة العربية قد فقدت بفقد الابن البار العامل رجلا لاعزاء عنه إلا أنه قد انتهى الى حال من الضعف والامراض لاهناء له في الحياة معه ولارجاء في الانتفاع شيء من مواهبه وتجاربه، فرحمه الله تعالى وعفا عنا وعنه وأدخلنا وإياه برحمته في عباده الصالحين

السفور والحجاب

﴿ تتمة مقال الامير شكيب أرسلان ﴾

تنبيه من المنار

(كنا رأينا مقال الامير في عدد من جريدة البيان العربية النيويوركية فحفظناه لاجل نقله منها. فلما نشرته بعض الصحف المصرية مجزءا في عددين او ثلاثة أعداد جمعه عمال مطبعتنا من بعضها فاذا هي قد حذفت منه ما نقله فيه الامير عن الاديب الكبير صادق افندي الرافعي من حوار دار بينه وبين شاب مصري من المتفرنجين لم تنقله الجريدة لان رأي قلم التحرير

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الامير شكيب ، وكان من غفلة الجريدة أنها لم تحذف من بقية المقالة ماقاله صاحبها فى رأي الشاب المصرى وذكره بحرف التعريف والبحث في كلامه فلما وصلت عند تصحيح المقالة الى هذا الموضع (في ص ٢٠٩ ج ٣ الماضي) أمرت بالامساك عن نشر بقية المقالة فى الجزء الماضي وطفقت أبحث عن نسخة جريدة البيان لنقل عبارة الرافعي . وهاكها بنصها ـ ومحلها بعد السطر الحادي عشر منها) قال :

واقرأ النبذة الآتية للاستاذ حجة العرب السيد مصطفى صادق الرافعي أنقلها لك عن كتاب حديث أخرجه آية من آيات البلاغة وهي قوله في شاب حصل العلم في أوربا كان باحثه في هذا الموضوع

« كان صاحبنا فتى تلمع عليه غرة الشباب ، وقد رق حتى كاد يخالط حد الانوثة ، ولان حتى قارب أن يفوت معنى الرجولة ، وظرف حتى أوشك أن يكون انساناً تتفتح في روحه معاني الزهر ، ولكنك اذا كنت رجلا صحيحاً أمررته على عينيك كما تمر كتاباً لاتريد أن تقرأه ، فقد تمدن في أوربة ولبث عن قومه ماشاء الله ، ثم رجع اليهم كأن أمه لم تلده ، وكأن أباه جده الاعلى ، فبينه وبين أبيه هذا بضعة أجداد منهم المسيو والمستر أو السنيور أو الهر . . . وأصبح يحس ان كل شيء في هذا الاجتماع الشرقي مسلط على نفسه الرقيقة النحيلة بالغلظة والجفاء والعنت والاذى — الى أن قال — :

« سألت هذا الفتى مرة أنت مصري ؟ قال : ووطني صميم قلت : أفترى تصلح في عملك وتهذيبك أن تكون مثالا يتأسى بك نشء بلادك ، قال : إني لارجو ذلك ، قلت : وأنت من القائلين بتحرير المرأة الشرقية ومساواتها بالرجل في الحرية المطلقة وبعثها من هذه القبور التي تسمى المنازل ؟ قال : ذلك مذهبي ، قلت : فكيف ترى اذا اقتدى بك المصريون فأصهروا الى الاوربيين وخلطوا الشمال بالشمال ؟ قال : لعل ذلك خير لنطب لبلادنا فلا معدل عنه في رأيي إذ يأتيها بالدم الجديد ، ويدمج في طباعها النظام والدقة ، ويبني البيوت من داخلها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قلت : أحسنت بارك الله عليك فكيف ترى اذا سألناك التسوية وقلنا لك دع أختك تصب الى رجل أوربي وتتزوج منه إجارة . . . وتأت به الى مصر كما أتيت أنت بصاحبة بيك ، ثم لتفعل كل امرأة مصرية فعلها فيكون لكم أوربيات ويقوم عليهن أوربيون ؟ . . قال : أعوذ بالله ! قلت : فعل الله بك وفعل ، أفيبلغ من غفلتك أن لا تعرف لعنة الله الا اذا رأيتها ملء مملكة ، ولا تعرف حق وطنك فيك الا حين تراه غريباً منقطعا لا حق له في واحد من أهله

فقال (أي الشاب المصري) : فما أنا وأمثالي الا شذوذ من القاعدة التي يجب أن تبقى أبداً قاعدة . قلت : فعليكم غضب القاعدة ومقتها وسخطها ، والله لان تفجع البلاد فيكم جميعا وتستركم بالقبور رمة بعد رمة خير من أن تتقلد منكم بلية الحياة في اختلاط الانساب ، وارتداد الاسماء العربية عن دينها الخ فقال الشاب : فكم من امرأة وطنية هي حمل على ظهر صاحبها ، قلت . وكم من امرأة افرنجية هي كبة على قفا صاحبها (هذه عند العرب كناية عن المرأة يسكت الناس عنها أمام زوجها ، فاذا ولى عنهم قالوا في ظهره ماقالوا . . . وكووا قفاه) نكتفي بهذا القدر من كلام حجة العربية الرافعي (١)

***

ولا شك ان كثيراً من قراء هذه المقالة سيغرون أفواههم الآن ويرفعون عقائرهم قائلين : ماهذا الذي جئتنا به ؟ فليس هذا من لوازم هذا ، وقد يجوز أن نطلق حرية المرأة ونكون من أنصار العرض والدين ، وقد يصح أن ندعو الى السفور ، وأن لانترك أخواتنا يصرن حظايا للآخرين ، وما نحسب الامم التي تدين بحرية المرأة ولا تعرف للحجاب معنى أقل منا شرف رجال وعفة نساء . ألا وان حرية المرأة لاتأتي الا مع التعليم ، ألا وان المرأة اذا تعلمت وتهذبت كان لها من علمها حجاب يحجبها عن الفاحشة — وغير ذلك من الاقوال التي كلنا نعلمها والتي تكررت كثيرا بحيث قد عرفها العوام فضلا عن الخواص

---

(١) بعد هذه الجملة يجيء مابعد السطر الحادي عشر من ص ٢٠٩ الى آخر مانشر من المقالة في ص ١١٠ ويلي ذلك قوله :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فأنا أقول لاخواني هؤلاء : مهلا مهلا . لا تعجلوا علي ولا تخلطوا شيئا بشيء فالموضوع عريض متشعب الاطراف لا تكفيه مقالة ولا اثنتان ولا ثلاث . فأما السفور مع العفة والصون وحفظ الانساب ورعاية أحكام الدين فهو السفور الشرعي الذي يجيز للمرأة أن تبرز وتتعاطى الاشغال وتذهب وتجيء ولا يوجب أن تسدل على وجهها ولا أن تدفن نفسها في الحياة ، وهذا سنكتب فيه مقالة تحت عنوان « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » ولكن لا يجوز أن تنسوا أن هذا السفور لا يصل الى حد جواز المخادنة الجهرية ولا الى زواج المسلمة بغير المسلم ، وانه اذا كانت المسألة مقصورة على هذه الدرجة فليست في شيء من الرقي الذي يبغيه نالح ورفقي وعبد الله جودت والشاب المصري ، وكثيرون غيرهم ممن نعرف أسماءهم وممن لم نعرف ، فهذا الرقي هو في عرفهم ليس بأن تمشي المرأة المسلمة في الاسواق سافرة عن وجهها فحسب . فان هذه الدرجة هم يعلمونها جائزة شرعا وطالما برزت النساء المسلمات وأخذن وأعطين في العهود الماضية واشتركن في جلائل الاعمال مع الرجال ، ولم يمنع ذلك شرع ولا عرف . وما جاء من الافراط في الحجاب وعدم خروج النسوة من المنزل الا في الندرى ان هو الا من التعصب الناشيء عن فرط الغيرة ولم يكن من الدين الاسلامي

ولكن هذه الفئة لا نرى هذه الدرجة الا أدنى درجات الرقي الذي يتطلبونه للنساء المسلمات في هذا العصر وهم في ترقية المرأة لا يقنعون بشيء دون حرية الزواج بين المسلمين وغير المسلمين طردا وعكسا ، لا بل حرية المسلمات أن يخادن من شئن على نسق الاوربيات بالتمام . فان كان هذا الذي تطلبونه أنتم معاشر الدعاة الى السفور ولا سيما الذين ناشدوني إعطاء رأيي فيه فينبغي أن تصرحوا به بكل جرأة وتقبلوه بتمامه ، ولا تتمولوا كما قال الشاب المصري « أعوذ بالله » فان هذه النظرية هي نظرية مئات ملايين من العالم المتمدين ، وحسبكم أن تكونوا مثلهم في الهيئة الاجتماعية . وان كنتم لم تصلوا بعد الى تلك الدرجة من « الرقي » وكان مرادكم اعطاء المرأة المسلمة الحرية المطلقة على شرط أن لا تخادن ولا تتزوج بغير المسلم أجبناكم : إن هذين نقيضان لا يجتمعان ، الحرية المطلقة من جهة ، والتقييد بزواج المسلم دون غيره

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبالزواج الشرعي دون غيره من جهة أخرى . نعم تنطبق على الشريعة الحرية المقيدة التي ان كنتم بغيانها فالشريعة الاسلامية قد ضمنتها أحسن ضمان بدون أدنى من ولا تكلف . فأما الحرية النسوية المطلقة التامة والاسلام فلا يجتمعان أبدا ، وعلى المتخير أن يختار أحدهما ، وليس الاسلام وحده غير مطابق للحرية النسوية المطلقة ، بل النصرانية أيضا هي غير مطابقة لها ، لان النصرانية تمنع المحادثة أيضا ، وتحظر على الفتاة المسيحية أن تقترن بغير مسيحي وتزيد على الاسلام في التقييد في كون الاسلام قيد المسلمة بزواج المسلم دون غيره ، ولكنه أباح المسلم الزواج بغير المسلمة ولو بقيت على دينها . وأما النصرانية فانها تمنع زواج المسيحية بغير المسيحي ، وزواج المسيحي بغير المسيحية . فالاسلام في هذا الموضوع أسمح وأوسع . ثم ان النصرانية قيدت أبناءها في أمر الطلاق بحيث لاتجيز للمرأة أن تطلق زوجها ، ولا للرجل أن يطلق امرأته ، واذا أقدما على ذلك لم تجز لهما أن يتزوجا فيما بعد لاهو ولا هي ، فأنت ترى أن حرية المرأة في الدين المسيحي هي أيضا غير مطلقة ولا تامة ، واذا كنا نرى الاوربيين والامريكيين قد خالفوا هذه القواعد ، فالذين يخالفونها منهم ليسوا عاملين بمبادىء النصرانية والى يومنا هذا كل من ينطبق عمله في الحياة الدنيا على مبادىء الكنيسة لايقول بحرية مطلقة للمرأة

فأما كون الامم التي ليس فيها حجاب لا تقل عن الامم القائلة بالحجاب عفة نساء وصون حلائل فليس بصحيح ، ان بين الفريقين في هذا الموضوع فرقا بعيدا ، أما نصارى المشرق فانهم مثلنا في العادات والاخلاق وتقييد حرية المرأة في الامور التي يخشون منها على عفتها ، ولذلك لانقدر أن نتخذهم هنا مثالا ، وأما العالم الغربي الذي أباح الحرية التامة للمرأة وتركها تفعل ماتشاء بعد بلوغها سن الرشد فلا أحد يمكنه أن يقول : ان العفة والصون اللذين هما من شرائط الاسلام والنصرانية متوافران فيه بالدرجة التي هما في العالم الاسلامي والعالم المسيحي الشرقي ، لعمري ان مايحصل في باريس وحدها من الفسق والفجور يساوي كل ما يحصل من هذا النوع في جميع العالم الاسلامي ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما كون التعليم يرقي المرأة الى سنام العفاف ويجعلها في غنى عن الحجاب وعن مراقبة بعلها ، فمع كوننا لا ننكر ان التعليم يهذب كثيرا من أخلاق المرأة ويعصم من هواها فلا نستطيع أن نقول انه كاف في هذا الموضوع سادمسد المراقبة الزوجية والقيود الشرعية ، فالتعليم لا يقوم مقام الخوف ولا يصح وحده وازعا ، وها نحن أولاء نعرف من الرجال الذين بلغوا الدرجة القصوى من العلم ولم يزدهم علمهم ولا فضلهم عفة مئزر ولا طهارة ذيل ، فنقص الفسق والفجور في العالم الشرقي عن مثله في العالم الغربي لا يقدر ولا يحصى انما هو بقوة سيطرة الرجال على النساء ، وينضم اليه كون الدين لا يزال في الشرق أرسخ مما هو في الغرب ، فتجد المرأة المسلمة والمسيحية الشرقية تخاف عقاب ربها وعقاب زوجها ، بخلاف كثير من الاوربيات اللائي أصبحن لا يخفن لا من الخالق ولا من المخلوق

بقي علينا اعتراض قد يقول به كثيرون من الذين يحبون أن يقال لهم « عصريون » محررون من الاوهام والعقائد سائرون في طريق الرقي بعقول علمية صرفة ، وبصائر فنية محضة — وهو ان نفور المسلم من أن يرى أخته أو بنته حليلة لرجل مسيحي أو يهودي أو وثني ، ونفور المسيحي من رؤية أخته أو بنته زوجة لرجل مسلم أو يهودي أو وثني ، انما هو من تأثير الاوهام ورسوخ العقائد ، لا بل من رسوخ الوساوس التي ليست من الحقائق في شيء ، وكذلك يقال في مخادنة المسلمة أو المسيحية العاملة بدينها لرجل تتفق معه على بدل معلوم تبيعه به عرضها ، فهذا هو أيضاً من عمل الاوهام والوساوس التي بمرور الازمان وشدة التكرار انقلبت شرفا وغيرة وحمية حال كون العلم ينبغي أن يزيل هذه الاوهام من الاذهان وأن يصفيها للحقائق دون غيرها . وان أهم مهمة يقوم بها العصر الحاضر هو تبديد الاوهام وإزالة دولة الخرافات . فان وقع هذا الاعتراض من أحد فنكون رجعنا الى قاعدة فالح رفقي وعبد الله جودت والشاب الذي تحاور مع الرافعي — ولسنا في هذه المقالة راميين الى تفنيد هذا الزعم من حيث هو ، وانما نقول لهم انهم إن كانوا يرون المدنية الاوربية أرجح من الصون والطهر فلا بأس بقبول هذه النظرية على علاتها ، والا فاذا كانوا يلتزمون مبادىء العفة والطهارة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والاحتياط التام لاجل حصول الولد من صلب أبيه ، فلا بد لهم من رفضها أو تقييدها على الاقل وإنني أؤكد لهم أن الانسان ما دام انساناوما دام هذا تركيبه فان يمكنه التحرز مما نسميه بالاوهام والعقائد ولن يعول على الحقيقة المجردة من كل عادة وتقليد الا اذا رضي بحالة تشبه حالة البهائم

اننا اذا تأملنا بعين الحقيقة المجردة وجدنا النكاح والسفاح واحداً لافرق بينهما . وأي فرق في العمل بين من يتزوج ومن يزني ؟ فلماذا اذا خامرت الانسان شبهة في امرأته طلقها ، واذا وجد عندها رجلا متمتعاً بعرضها جاز له قتله بدون أن يقاص ولا يضار لا في الشريعة الاسلامية وحدها (١)، بل في جميع الشرائع وفي أحدث القوانين الديموقراطية المصرية الجمهورية ؟ — اذا قلنا جاز ذلك لتسلط الزاني على امرأة غيره ، أجبناك : ان هذا الزنا انما وقع برضاها واختيارها فلم ذا جاز للزوج أن يقتل الزاني بامرأته ويذهب دم هذا هدرا ؟ ولماذا اتفق أكثر البشر على كون هذه الكبيرة هي أعظم الكبائر ، وان معرتها أفظع المعرات ، وانه لا يهدم الشرف والمجد في البيوت مثل دنس الوساد ، ولا يرفع الراس ويريح الوجدان ويلحف الانسان الشرف بمطرفيه مثل نقاء العرض وطهارة البيت . لماذا هذا كله ؟ مع انه بينما هو يعد أكبر الكبائر وأفضح المعرات بدون صورة شرعية ، اذ هو بمجرد شهادة اثنين أو بقصاصة ورق انقلب ناموساً عظيما وعملا شريفا ، وجاء والد البنت نفسه يفرح بتهاليل ابنته ، واجتمع أهل العروس يطبلون ويزمرون ، ويقبلون التهاني على هذا العمل الذي لولا قصاصة الورق تلك كان استوجب القتل مما تجد فيه سر الحديث النبوي الشريف «جدع الحلال أنف الغيرة» (٢)

﴿ الجواب ﴾ إن الناس اصطلحوا من قديم الدهر على اعتبار هذا العمل على أثر اتفاق شرعي حلالا ، وعمرانا للكون ، وداعياً للفرح والتهنئة ، وعلى عده بدون هذه المعاملة الشرعية فضيحة وجناية وإثما كبيراً . وما هذا الذي رسخ في

(١) المنار يدل على هذا حديث سعد بن عبادة في الغيرة وهو متفق عليه ولكن الحكم مختلف فيه فالجمهور لا يبيحون ذلك « ٢ » لا اذكر انني رأيت هذا في الحديث المرفوع فمن عرف له تخريجا فلينفضل ببيانه لنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاذهان من هذين الاعتبارين سوى تواطؤ قديم بين البشر ، واصطلاح ساروا عليه منذ قرون لا يعلم بدؤها . وبالجملة فوهم ليس له علاقة بطبيعة العمل نفسه . نعم هو وهم مقدس ، ولكن كونه مقدساً لا يخرجه عن كونه تواطؤاً واصطلاحا ووهماً(١) إذ الانسان لا يزال بعيداً عن أن ينسخ أعماله عن الطبيعة رأساً بدون أوهام وعقائد ، وما ينزل على حكم الطبيعة رأساً بدون أوهام وخيالات سوى الحيوانات ؟

(شكيب ارسلان)

من عذيري

(الشكوى من صاحب المنار وشكواه أو عذره)

رب لائم مليم ، ورب ملوم بريء أو غير مسيء

في يوم السبت ٢٨ ذي القعدة (٢٠ مارس) جاءني كتاب في البريد بامضاء (عبد الغفار) يقول فيه : إنه تاجر هندي في مدينة لندن وانه جاء القاهرة لكي يقابلني ويقابل بعض الذين يعرفون شيئا عن السيد جمال الدين الافغاني لجمع ما لديهم من المعلومات عنه لانه يريد أن يكتب سيرة لهذا المجدد الشهير ، وانه يحمل خطابا من حضرة صديقي فؤاد بك سليم حجازي الشهير ، وانه يلتمس أن أعين له وقتا خاصا لذلك

وبعد يوم أو يومين جاء دارنا رسول من قبله ولم أكن فيها فترك لي كتاب فؤاد بك سليم الذي يحمله من أوربة ، وكتابا آخر من حضرة صديقي إسماعيل بك شيرين وكيل محافظة مصر مؤرخا في ٢٩ ذي القعدة (٢١ مارس) يقدمه فيه ويوصي بحسن قبوله . فعجبت من عنايته بطلب توصية بعد توصية فيما لا يحتاج الى توصية ، ثم من إرساله لهما مع رسول يطلب له تعيين وقت معين للقائه وعدم مجيئه هو ، وحملت ذلك على حرصه على أرقائه وعلى وقتي أيضا ، لانه يعلم عقلا

---

(١) كرر الكاتب لفظ الاوهام حكاية لأقوال الملاحدة على الطريقة الحديثة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انني كثير العمل، ومن المعقول في هذه الحالة أن أعين له وقتا يمكنني أن أفرغ فيه لحديثه مدة طويلة، واطلاعه على ما عندي من المواد وليست بقليلة، وأنا لا أملك مثل هذا الوقت الا في بعض أيام الجمع، واذ كان أول جمعة لايزال بعيدا رأيت أن أبلغه من أقرب الطرق — وهو طريق التليفون — انني مستعد في كل يوم بل في كل ساعة من ساعات كل يوم للقائه وانني على قلة خروجي من الدار لا أخرج في وقت الصباح، وأنه لاجل الاحتياط يمكنه أن يسأل عني بالتلفون قبل مجيئه، بلغناه هذا في الفندق الذي نزل فيه ولم يكن فيه عند التبليغ، فعهدنا أصحاب الفندق بتبليغه اياه المرة بعد المرة، ولو حضر لاخبرته بما عندي من المواد في ترجمة السيد وبعض مقالاته وآثاره واتفقنا معا على الاوقات التي يطلع فيها عليها والطريقة التي يقتبس بها مايريد اقتباسه منها — وهو لا يعرف العربية

بيد أنه فاجأني عصر اليوم الثالث من ذي الحجة (٢٤ يونيو) كتاب هذا نصه:

كتاب وجيه هندي لصاحب المنار:

٢٤ يونيه سنة ١٩٢٥

سيدي الاستاذ الجليل. سلاما واحتراما. وبعد فقد حملتني الرغبة الصادقة في البحث عن كل مايتعلق بحياة السيد جمال الدين الافغاني — بمناسبة اعتزامي على تأليف يشتمل على حياة هذا الفيلسوف الاسلامي الشهير — حملتني هذه الرغبة على التقرب ثم على التشرف بزيارتكم لينالني تشرف الاستقاء عن علمكم الغزير فبادرت بارسال جواب الى فضيلتكم ساعة وصولي الى القاهرة لتتكرموا بتحديد وقت أمثل فيه بين ايديكم (!) فلما تأخر الرد كلفت صديقا لي ليتفق مع فضيلتكم على الوقت التي ترضون فيه بمقاباتي (!) ولما لم يجدكم في البيت تركت هناك كتابي التعرف من حضرة صاحبي العزة فؤاد بك سليم وشير بن بك لعلكم تتنازلون بهذه الوسيلة بزيارتي. وقد مكثت في القاهرة انتظر الرد سبعة أيام (١) وماجنيت يا للاسف من هذا الاتفاق إلا الخيبة والملل

«١» المدة بين كتاب شير بن بك و بين كتابه هذا ثلاثة ايام فقط واذا كان قد وصل الى في مساء ٢١ مارس ففرصة الرد كانت يومين فقط

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سيدي — الآن وقد عزمت الرحيل من هذه الديار أرى من واجبي أن لفتكم الى بعض مايجول بخاطري بمناسبة هذا الفتور الذي لقيته منكم في هذه الديار وقد كنت انتظر غير مارأيت

على أن هذا الفتور لو كان مصدره رجل عادي غيركم وموجها الى شخصي من حيث انني بشر لا اكثر ولا أقل لما اتعبت نفسي بالشكوى اليكم ولمارجوتكم قراءة هذه السطور ولكن الرتبة العلمية التي تمثلونها والصفة الاسلامية التي جعلتموها شعارا لكم والمسئوليات العظيمة التي تتحملونها بصفتكم من علماء الدين وحامل لواء الشريعة — كل هذه الامور تحتم علي أن أنبهكم الى الخطر العلمي والاخلاقي (!) الذي قد يجركم اليه مثل هذا الفتور والاهمال الغير لائق بمقامكم (!)

شيء آخر يحملني على الاكثار من الشكوى اليكم، وقد اضطررت الى ذكره اضطرارا

سيدي، أظنكم لم تنسوا بعد ذلك الاحتفال المهيب بقدومكم الى البلاد الهندية، والمقابلات الحارة المخلصة التي استقبلكم بها الهنود، فكنتم موضع اجلال واحترام من جميع الطبقات بلا استثناء — أما كان يصح في هذه الحالة أن ينتظر أحد المحتفلين بكم من مكارمكم وتعطفاتكم ما يزيده اخلاصا اليكم وحبا فيكم؟ ولكنني أقول والاسف يملأ قلبي ان هذا الامل كان في غير محله

سيدي، اعتقدوا انني حاولت كثيرا أن أبرر عملكم هذا، فكانت هذه المحاولة خائبة خيبة أملي بلقائكم

ولست أدري كيف أفسر عملكم هذا عندما أقدم للجمهور مؤلفي وأذكر ما لاقيت في سبيل جمع مواده

وعلى كل حال قد حصلت اقامتي هنا على معلومات بقدر ماتمكنت الحصول عليها، واغادر القاهرة اليوم وانا كل اليقين (؟) والاعتقاد انني سوف الاقي في اوربا وغيرها من بلاد الكفر والالحاد (؟) من العلماء من هم اوسع صدرا وارحب ساحة من علمائنا الكرام واخيرا تقبلوا سلامي

الخادم المخلص

محمد عبد الغفار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[المنار]

لقد بلوت من الناس غرائب كثيرة ولم أر أغرب من حال هذا الرجل في أمر سفره من لندن الى مصر للبحث عن سيرة السيد جمال الدين وجمع مايمكن جمعه منها لاجل تأليف كتاب خاص في سيرته ، وللقيام ببعض الاعمال التجارية أيضا، ومكثه في القاهرة أسبوعا واحداً وعودته بسرعة ، وهذه المدة لم تكن كلها تتسع لاخذ ماعندي من المواد الخاصة بسيرة السيد رحمه الله تعالى لو لم يكن لنا شغل غيرها،ولا من حاله في امر اهتمامه بمقابلتي بالتوسل اليها بتوصيته من يعرف ومن لم يكن يعرف من الوجهاء وبالكتابة وارسال الرسول لاجل تعيين موعد خاص المذاكرة في سيرة السيد وأخذ المعلومات المطلوبة ، وعدم تفضله بالزيارة بدون سبق الموعد المطلوب على كونه قد زار بعض الناس بدون أخذ موعد معين منهم ، كاسماعيل شيرين بك ونور الدين بك مصطفى كما أخبراني بذلك، ثم اسراعه بالسفر بعد مجيء رسوله الى مكتبة المنار وسؤاله عني فيها بيومين - وفي أمر كتابه الجامع بين التعظيم والتهكم والمن والتهديد

أما انا فعلى شدة تعجبي من هذا الكتاب واستنباطي منه ان صاحبه شاذ في عقله وأخلاقه اسفت اسفا شديدا لما فهمته منه أن الفندق لم يبلغه ماعهدناه اليه من الاستعداد للقائه في كل يوم ولا سيما وقت الصباح على كونه وقت تزاحم الاعمال عليّ الذي به كان وجودي فيه بمكتبي حتما لازما ، وقد حماني هذا الاسف على الذهاب الى محطة مصر قبل وقت سفر قطار المساء الحديدي الى بور سعيد لعلي أجده مسافراً فاعتذر له واتفق معه على طريقة لايصال مايطلبه من المواد في سيرة حكيمنا الاكبر السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ذهبت الي المحطة قبل موعد دخول المسافرين في القطار وطفقت اتوسم وجوه ركاب الدرجة الاولى - وكذا الثانية احتياطا - لعلي أجد سحنة هندية أتطفل بالسؤال عن صاحبها فلم أجد، وانما فعلت هذا لانني أعد الرجل علي حقين لايبيح لي شذوذ كتابه هضمهما (أحدهما) أنه خاطبني بالوسائط ولم يعلم انني اجبته ولم يلتمس لي عذراً على سعة باب التماس الاعذار الذي ضاق عليه (وثانيهما) انه يريد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تأليف كتاب في سيرة أستاذنا الاكبر موقظ الشرق وحكيم الاسلام وانا أحرص الناس كما اعتقد على نشر سيرته الصحيحة والاعتبار بها

بعد هذا قصصت خبره على شابين هندين نجيبين مشتغلين بطلب العلم بمصر فجزم كل منهما وحده برأي واحد وهو أن هذا الشذوذ بالامتناع من الزيارة اولا وبالكتاب الجامع للغرائب ثانيا ليس من شأن هذا الرجل ولا من المعهود من آدابه واخلاقه وانما هو تأثير مؤثر خادع من الهنود الزائغين كالذين يبثون دعوة المسيح الدجال القادياني في مصر باسم الاحمدية أو الملاحدة الذين فتنوا بافكار بعض الزنادقة اللادينيين هنا ، وكلا الفريقين يمقت المنار وصاحبه لانه أشد خصم لهم في العالم الاسلامي ، وجزم كل منهما بان الرجل لا يعرف العربية وأن الذي كتب له هذا الكتاب الشاذ لم يخبره بكنه مافيه ولو أخبره لما أمضاه

ثم سألني عنه الزعيمان الهنديان الكبيران اللذان ألما بالقاهرة في هذه الايام الحكيم محمد اجمل خان والدكتور مختار احمد الانصاري فذكرت لكل منهما نبأه وأطلعت كلا منهما على كتابه فوافقا الشابين بأن هذا ليس من دأبه ولا من آدابه وانه خدع به

اعتذار صاحب المنار عن تقصيره

ولما كان من شأن هذا الغش وسوء الفهم ان يقع كثيراً رأيت ان لا تثنيني هذه الشهادة من اربعة عدول بما تقدم آنفا عن ذكر بعض ماجال في خاطري من الآراء عند قراءة هذا الكتاب بالايجاز ، وإظهار عذري فيما عسى أن يكون قد وقع أو قد يقع من سوء الفهم في مثل هذه المرة بيني وبين بعض الناس فأقول :

(أولا) إنني رجل ضعيف دخلت في سن الشيخوخة وأشكو بعض مبادئ الامراض التي تهدد الناس في هذه السن ، وأنا مع هذا مطالب بأعمال كثيرة أذكر مجامعها

(١) القيام بشؤون أسرة كبيرة وأطفال لا عائل ولا مربي لهم غيري

(٢) القيام بتحرير مجلة دينية اجتماعية ليس لها محرر ولا مساعد غيري

(٣ و ٤) إنني صاحب مكتبة ومطبعة لا بد لي من نظر ما في بعض أمر ادارتهما ، ولضيق وقتي عن إتقان ذلك يفوتني ربح كبير انا محتاج اليه بل تحملت كثيرا من الخسارات المالية والادبية .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(٥) انني أتولى تصحيح جميع مطبوعاتي من المنار وغيره بنفسي المرة بعد المرة ، وأنظر في تصحيح غيرها مما يطبع في المطبعة مع مصححها ، وهذا العمل يستغرق أكثر أوقاتي في هذه السنين ، وقد جربت الاعتماد على المصححين فرأيت كل ما يصححونه كثير الغلط ، حتى انني اضطررت الى مراجعة جداول تصحيح الغلط الذي وضعوه لبعض الكتب على المطبوع والمخطوط كلمة كلمة بمعارضتها على عدة نسخ في خلال سنتين متفرقة واخرت ارسال بعض الكتب الى اصحابها زمنا طويلا لاجل ذلك فساءهم ذلك وهم لا يعذرونني بأماتي العلمية الدينية ولو فعلت كما يفعل سائر اصحاب المطابع لكان ارضى لهم واربح لي. ووضع لي بعض الاذكياء فهارس للمنار فكان شغلي بتصحيحها أطول من شغلي بوضع خير منها .

(٦) انني أعمل في بضع جمعيات علمية واجتماعية وسياسية ، كالمجمع اللغوي والرابطة الشرقية ، ومؤتمر الخلافة ، ونقابة الصحافة ، ولجنة المؤتمر السوري الفلسطيني الخ . وقد كنت في الاسبوع الذي زار فيه حضرة الاخ محمد عبد الغفار القاهرة مكلفاً ثلاثة أعمال كتابية لبعض هذه الجماعات

(٧) انه تأتيني مكتوبات كثيرة من أقطار الشرق والغرب أقلها في شؤون المجلة والمطبعة والمكتبة التي يوجد عندي من يساعدني على مايطلب منهن — وأكثرها يتعلق بشؤون الامة العامة أو بالشؤون الادبية العلمية والعملية أو السياسية أو الشخصية . أما الشخصية فأكثرها استفتاءات خاصة شرعية من دينية ودنيوية ، غير ما يطلب نشره في المنار ، وأقلها طلب مساعدات مالية أو شفاعات . وأما العلمية فمثل طلب الاخ محمد عبد الغفار ، وكلها مبنية مثل ما حملني من التبعة والمسؤلية بسبب الشهرة العلمية. ومن أغربها أن بعض المؤلفين المعاصرين طلبوا مني قراءة ما ألفوا والشهادة لها بأنها جديرة بأن تدرس في المدارس الاسلامية لعامة المسلمين على ان بعضها لاهل السنة وبعضها للشيعة ليالين الى الوحدة الاسلامية مثلنا

(٨) كثرة الزائرين المختلفي الاغراض من اصدقاء واولياء ، ومن عفاة وطلاب حاجات ، ومن مستفتين ومشاورين في بعض الشؤون العامة أو الخاصة ، ومنهم من لا يذكر حاجته الا بعد بسط أخبار ووقائع طويلة ، ولو شرحت هذه الحاجات

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لعجب جميع القراء من ذكر الناس لمثلها ومن صبري عليهم .

(٩) النظر ولو اجمالا في المشرات من الصحف السياسية والمجلات العلمية التي ترد من الاقطار المختلفة الوقوف الاجمالي على حال العالم وسياسته وسير العلم والادب والعمران ويناسب هذا النوع ما يهدى الى المجلة من الكتب والرسائل التي تنشر في كل آن ولا بد من النظر فيه بقدر ما تسمح به الفرص ، وانا مقصر فيه لضيق وقتي

(١٠) ما أضطر اليه من نشر بعض المقالات في الصحف اليومية كالمقالات التي نشرت في سياسة الملك حسين بن علي واولاده ، ومقالات الخلافة ، وما فعل الترك بخلافتهم وسلطنتهم ، ومقالات (الوهابيون والحجاز) والرد على كتاب الاسلام وأصول الحكم

انني وايم الحق لعاجز عما يرضي الناس في الامر السابع من هذه الامور العشرة وهو الذي يظن أصحابه وغيرهم انه أهونها ؛ وأعني به الكتابة إلي في الشؤون المختلفة ، فانه لتأتيني المكتوبات أحيانا وأنا مشتغل بكتابة موضوع أو اكثر لاجل عمال المطبعة ـ وبتصحيح كراسة أو اكثر ليشتغل بها مصححها فأقرأ بعضها وارجىء قراءة بعض الى فرصة لا تستلزم تعطيل عمل لا بد منه ، وقد أعهد الى وكيل الادارة بقراءتها واخباري بما فيها عند فرصة فراغ من الضروريات اذا كان خاصا بي ـ وان هذا الارجاء قد يفضي الى اجتماع عشرات من هذه المكتوبات أمامي فتمر الايام والاسابيع ولا أجد وقتا لقراءتها ؛ حتى اذا سنحت فرصة فراغ من الضروريات أكتب لصاحب الحق الاول فالاول موضوعا أو زمنا ، وقد أكتب الى الرجل الواحد مرجوع كتاب له في الامور العامة في بضعة قراطيس . ومن هذه المكتوبات ما يرد بلغة لا أعرفها وليس عندي من يترجمه لي ، فيتأخر عندي الى أن أجد مترجما ثقة أمينا ، ومن ذلك ما كتبته الي ادارة المدرسة الجامعة الاسلامية في عليكره (الهند) في اختيار أستاذ للعربية فيها . كتبت الي باللغة الانكليزية وأرسلت مع كتابها نظام المدرسة ومنهج التعليم فيها وكلاهما بالانكليزية ليعرضا على الاستاذ الذي اختاره لها ، فالقيام بحقوق الناس في الرد على مكتوباتهم لا يتم لي الا بمساعدة كتاب ومترجمين موظفين ، ولست قادرا على ذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعد هذا التمهيد العام للعذر أقول ـ عودا على بدء ـ :

(ثانيا) قد كان من المتعذر علي أن أجيب طالب الاخ محمد عبد الغفار عقب وصول كتابه لو كان صاحب الحق الاول ، فانه طالب تعيين موعد خاص لاطلاعه على ما عندي من سيرة السيد جمال الدين ولم أكن أملك وقتا يتسع لذلك مع الاعمال الضرورية اليومية التي لا يمكن تأخيرها . وأما الزيارة فهي عندي مباحة في عامة أوقاتي لانني أشتغل في حضرة الزائرين معتذرا لهم ، وأحدثهم في أثناء العمل ولو كان تفسير القرآن الحكيم أو الافتاء ، ولولا هذا لاضطررت الى رد أكثر الزائرين ، وهو لم يكن يريد هذه الزيارة غير المقيدة بما طلبه ، والا لزارني كما زار غيري من الرجال الرسميين وغير الرسميين ، فزيارتي أسهل من زيارتهم ،

(ثالثا) لم يكن يخطر في بالي أن يكون وقت إقامته بمصر لمثل هذا العمل وغيره من الاعمال التجارية أياما تعد على الاصابع يتحكم فيها بوقت غيره المجهول عنده كما يتحكم في عماله وخدمه الواثق من استطاعتهم على طاعته متى شاء ، بل ليس من المعقول عندي أن يكفي مثل هذا الوقت لاخذ مواد كافية لتأليفه من معاهد العلم العامة كخزانة الكتب المصرية مثلا ، لذلك كنت أظن أننا لا بد أن نلتقي وأن تبليغه بالتلفون الاستعداد لمقابلته كل يوم هو كل ما يجب علي

(رابعا) إن منّه عليّ بحفارة مسلمي الهند بي لم يكن لاثقا منه ، وإن جعله حجة على أنه يجب علي أن أقابل كل هندي بمثله وانهامي تعريضا بل تصريحا بعدم الوفاء ومقابلة الجميل بمثله بعيد عن اللياقة وعن الصواب جميعا

إن جمعية ندوة العلماء دعتني الى رياسة مؤتمرها السنوي رجاء أن يكون ذلك سببا لاقبال الجمهور على المؤتمر . . . وانني أجبت دعوتها في وقت كنت مشتغلا فيه بتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد التي أعتقد انها أفضل عمل وضع لخدمة الاسلام في هذا العصر ووافقني على اعتقادي هذا كل من وقف على كنهه من خواص مسلمي العرب والعجم حتى في الهند والآستانة كما انني كنت عازما على الزواج ، تركت هذا وذاك إجابة لدعوة الندوة ، وسافرت على نفقة نفسي لا على نفقتها كما هو المعتاد في مثل هذه الدعوة ، وقد احتفى بي المسلمون في كل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلد زرته كما قال وفوق ما قال ، وما كان لذلك من سبب الا اعتقادهم انني أخدم الاسلام والمسلمين لوجه الله تعالى ، وكنت أعلنت انني لا أقبل من أحد مساعدة ما ولو باسم الهدية المسنونة ، حتى ان آنية الشاي الفضية التي صاغتها الندوة تذكاراً لزيارتي ونقشت عليها اسمها واسمي لم أقبل أن آخذها منها ، ولكنها أرسلتها الى صديقي المحسن الكبير الشيخ قاسم ابراهيم الشهير في بمبي وهو أرسلها الي مصر ، احتفوا بي بداعية الاخلاص كما أجبت دعوة ندوتهم بمحض الاخلاص ، وأنفقت من المال والوقت في هذه السبيل فوق ما أنفقت هي في الحفاوة بي ، وهي جماعة وأنا فرد ، وانما سدى ذلك ولحمته الاخلاص ، فلا يليق بأحد منا أن يحبط هذا الاخلاص ، ولا أن يشوهه بالمن والاذى ، ولا أن يوجب لنفسه على الآخر به حقا ويهدده بالتشهير العلني والاهانة على التقصير فيه

(خامسا) انني لست من عشاق التعظيم والحفاوة ، ولا من المفتونين بالشهرة ، ولذلك لم اكتب ولم أوعز الى احد من اخواني أو تلاميذي ان ينشر في الجرائد أخبار تلك الاحتفالات العظيمة التي كنت أفر منها ، حتى لم أكن اخبر من تلقاء نفسي بلدة من البلاد بوقت وصولي اليها ،

(سادسا) انني على هذا وذاك ما قصرت ولن أقصر ان شاء الله تعالى في الشكر والثناء الخالص على مسلمي الهند عامة وعلى الذين تفضلوا باكرامي منهم خاصة لاخلاصهم في تلك الحفاوة وفي عامة شؤونهم الملية ، وغيرتهم الدينية ، وما زلت افضل مسلمي الهند على سائر الشعوب الاسلامية في شعور الجامعة الاسلامية وبذل النفس والنفيس في سبيله ، واعترف بانه لا يباريهم في هذا غيرهم على ان ضيافتي وتكريمي من قومي العرب في بمبي ومسقط والكويت والعراق كانت أكبر مظاهر الكرم وبمحض الاخلاص أيضا ، وهل أستطيع ان أكافيء جميع هؤلاء الناس بمثل ما يطالبني به هذا الفاضل الهندي ؟

(سابعا) انني لما ذكرت من رأيي في مسلمي الهند أراني اشدارتياحا لزيارة فضلائهم لي من زيارة غيرهم ، وقد زارني أعضاء الوفد الذي ارسلته جمعية الخلافة الى الحجاز قبل موسم الحج الاخير في صبيحة الليلة التي وصلوا فيها الى مصر عائدين من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جدة — ولكن بغير توسل بأحد، ولا بارسال مكتوبات ورسل، ولا بطلب تحديد موعد كتابي معين — وكنت في ذلك الوقت مشغولا بالنقلة من دار الى دار: نقلة المتاع والماعون والمكتبة والمطبعة جميعا، ولا يوجد عندي من يقوم مقامي في الامر بوضع كل شيء في موضعه من الدار الجديدة، فكنت اترك الناقلين يلقون ما ينقلون بعضه فوق بعض، واشغل الزمن الطويل مع أعضاء الوفد، فتلف بذلك بعض الاثاث والماعون وفقد بعض، وبقيت كتبي الخاصة وأوراقي ملقاة على الارض اكثر من اسبوعين لا يمكن تمييز بعضها من بعض، بل عرضت نفسي لنزلة صدرية بالذهاب معهم الى أهرام الجيزة مساء بالسيارة وانا في ملابس خفيفة لاتقي تأثير تيار الهواء. ولما سافروا ودعتهم في محطة السكة الحديدية، وأعترف مع هذا بأنني مقصر اذ لم أقم بحق ضيافتهم لان الدار لم تكن صالحة لذلك.

وليعلم الاخ الكريم محمد عبد الغفار انه لو لم يكن من مسلمي الهند وممن يعنون بتاريخ حكيمنا السيد جمال الدين لما عنيت بالذهاب الى محطة مصر للاعتذار له بعد ان رأيت ما في كتابه من الشذوذ الادبي والتهديد والوعيد اللذين لا يبالي بهما مثلي ممن لا يخاف ولا يرجو غير الله تعالى ولا يقابل أصحاب التهديد والوعيد الا بالاعراض

ولست أبالي من رماني بريبة اذا كنت عند الله غير مريب

(ثامنا) انني من أشد الناس مقتا للمداهنة وتكلف المدح الكاذب والاطراء كما انني من فضل الله علي من أقلهم مبالاة بالمدح والذم الشعريين، حتى انني لا أحفل بقراءة ذلك اذا قيل لي انه نشر في جريدة كذا مثلا، ولكنني أبحث عن عيوبي بعرض عملي على أهل النقد، وبسؤال أهل الصدق والاخلاص عما ينكرونه علي أو مني لاستعين بذلك على تربية نفسي، وإتقان عملي

وانني أعلم أن كراهتي للتملق والنفاق اسخطت علي كثيراً من الناس، وأن المداراة مطلوبة شرعا وعقلا، ولكن من الناس من لا يرضيهم الا الكذب وقول الزور ويعدون من يتحامى الاطراء بالباطل مقصرا في حقهم أو مهينا لهم أو متكبرا عليهم، وأمثال هؤلاء لا حيلة لي في إرضائهم، على انني ابرأ الى الله تعالى أن أتعمد التحقير أو التقصير في حق أحد منهم أو من غيرهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن دون هذا الصنف صنف آخر خير منه وانا عاجز عن إرضاء أفراده حتى المخلصين في المودة منهم، وأعني بهم أهل المساومة والمشاحة في المعاشرة للربح أو المساواة: زيارة بزيارة، ودعوة بدعوة، وتهنئة بتهنئة، وتعزية بتعزية، وكتاب بكتاب، كما قال الحريري:

وكنت للخل كما كال لي علي وفاء الكيل أو بخسه

فانا لا أعد هذه الطريقة من الخلة ولا الصداقة الخالصة، كما قلت في المقصورة

من كال للخل كما كال له فتاجر ليس خليلا يصطفى

فلا ألتزم تهنئة أصدقائي في الاعياد بزيارة قريب الديار ومكاتبة بعيدها ولا أطالبهم بذلك ولا ألومهم على تركه، وانما أزور واكتب عند سنوح الفرص، وابني الصداقة على أساس الصدق والاخلاص وترك التكلف، وعدم الظنة، فلا أتهم أحداً بتعمد التقصير في حقي، كما انني لا أتعمد التقصير في حق أحد، واكره أن يتهمني بذلك لانه ظلم، ولا أعاشر احدا لاجل أن أنتفع منه نفعا ماديا، ولكنني قد أزور من ارجو ان استفيد من رايه ومذاكرته وان لم يكن صديقا لي

وجملة القول انني افترصت هذا التثريب والتأنيب من احد إخواننا فضلاء الهند (على قبول عذر من اعتذر عنه ان وافقهم عليه) لابين حقيقة حالي لقراء المنار البعيد منهم والقريب، فانني أعلم أن بعض من لم يعرف هذه الحقيقة ينكرون علي مالا انكره من التقصير في مكاتبتهم أو زيارتهم، اوقضاء حاجهم، وإنما انكر تعمد ذلك، وأعترف بالعجز، فما يطلب مني هو في الغالب فوق استطاعتي، وكله يبنى على الاساس الذي بنى عليه هذا الوجيه الهندي. أي الشهرة بالعلم وخدمة الاسلام حتى ان الذين يطلبون مني المنار وتفسير المنار وغيره بنصف ثمن أو بغير ثمن، وكذا الذين يطلبون المساعدات المالية يقولون ويكتبون الي بأنها واجبة علي لما ذكر، ولكن لم يساعدني احد من المسلمين مساعدة مالية أستعين بها على خدمة الاسلام والمسلمين بمثل ماذكر ولا أنا صاحب عقار أنفق منه بل لا أملك دارا أقيم بها، بل اكثر مشتركي المنار يمطلون بحقه مطلا ومنهم من يهضمه هضما. وانا علم أن هذا البيان غير معتاد ولا مألوف في العرف العام، وقد ينتقده بعض الناس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولكن أهل الصدق والاخلاص يعلمون انه حق صادر عن صدق وإخلاص ، واني ألخص عذري بهذه الكلمة :

إنني قد ابتليت بشهرة هي أكبر مني ولم أوت من العلم ولا من المال مايسهل عليّ القيام بأعبائها ، وأنا أتحمل أثقالها بالرغم مني ، كما قال لي أحد كبار ضباط الانكليز عند ما رآني متبرماً من تضييقهم علي في الاذن بالسفر الى سورية بعد الحرب الكبرى : ان الشهرة الكبيرة تلزمها أثقال كبيرة لا بد من الصبر عليها. فأنا ضعيف في كل شيء، وأطالب بما لا يقدر عليه إلا جماعة من الاقوياء ذات إدارة غنية منظمة ، لا أستطيع اجابة كل سائل، ولا مراسلة كل مراسل، ولا سماع القصص والوقائع الشخصية من كل قائل، ولا رد زيارة كل زائر، ولكنني — وأقسم بالله — لا أتعمد التقصير في حق أحد استهانة به أو تفضيلا لنفسي عليه ، وانني إرجح المصلحة العامة ومصالح بعض الناس أحيانا على مصلحتي الشخصية ولولا ذلك لما تأخرت مجلة المنار عن موعدها يوما واحدا . على انني لا أتهم أحداً بالتقصير في حقي ، ولا أواخذه عليه بقول ولا عمل ، وانما أعاتب الاخوان المخلصين تلذذاً بالعتاب، وأجتهد بقدر استطاعتي في مساعدة كل منهم على خدمته الملة والامة ، وفي قضاء حاجته الشخصية أيضا. واذا كانوا يصفون بالانصاف قول الشاعر الذي ضربوا به المثل

على انني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا

فأنا أرضى بأن أحمله وأخلص منه وعلي أكثر مما لي ، فمن رضي بهذه المعاملة فعلى الرحب والسعة ، والمقابلة بالترحيب والترجيب ، ومن لم يرض بذلك وهو منتهى ما في الوسع بل فوقه ، فما له عندي الا قول بعض شيوخ الصوفية:

غنينا بنا عن كل من لا يزورنا وان كثرت أوصافه ونعوته

فمن جاءنا يامرحباً بقدومه يجد عندنا ودا صحيحاً ثبوته

ومن صد عنا حسبه الصد والجفا ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم من ذنب التبجح والدعوى ومن كل ذنب ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منشور عام (١)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود الى اخواننا المسلمين في مشارق الارض ومغاربها

الحمد لله الذي لا إله الا هو : والصلاة والسلام على رسوله محمد الشفيع المشفع يوم المحشر (وبعد) فقد تفاوضت أنا والوفد الهندي الموفد من جمعية الخلافة الهندية وجمعية العلماء في المسائل التي يهم المسلمين الاطلاع عليها ، والوقوف على حقيقة أفكارنا تجاهها . وكان رائد الجميع الاخلاص في العمل ، والصراحة في القول ، والنصح لله ولرسوله والمسلمين ، واني أحمد الله على أن انتهى البحث في جميع المسائل التي دارت المفاوضة فيها .

واني دحضا لما يفتريه أعداء الحق ونصراء الباطل ممن يستغلون التفرقة بين المسلمين ويحاولون أن يطفئوا نور الله بسعيهم الباطل للتمويه على قلوب السذج من المسلمين الذين يجهلون حقيقة مانحن عليه ، أعلن ماياتي (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة).

(١) أشكر الشعوب التي وقفت تجاهنا موقف المدافع عن الحق وأشكر الشعب الهندي خصوصا على موقفه تجاه العرب وقضيتهم في الوقت الذي اشتغل العرب فيه بالمشاحنات والمخاصمات ونسوا واجبهم نحو دينهم ووطنهم ، واني أشكر أهل الهند لانهم كانوا أول من لبى الدعوة فجزاهم الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء

(٢) اني لا أزال عند قولي فيما دعوت العالم الاسلامي اليه ممن وجوب عقد مؤتمر عام ينظر في الامور التي تهم سائر المسلمين في الحجاز من اصلاح الطرق وتأمينها ؛ وتوفير وسائل الراحة لكل وافد ، وتسهيل المواصلات بقدر ما يمكن وبذلك نتحمل نحن واياهم مسئولية إدارة الحجاز ، وستجدد الدعوة لهذا المؤتمر الاسلامي متى تمهدت وسائل المواصلات

(٣) اننا نحافظ على استقلال الحجاز الاستقلال التام محافظتنا على أرواحنا

(١) نقل عن العدد ٣٠ من جريدة أم القرى التي تصدر بمكة المكرمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واننا لا نسمح أن يكون لغير المسلمين أي نفوذ فيه ، محافظة على ديننا وشرفنا

(٤) ان الشريعة الاسلامية هي القانون العام الذي يجري العمل على وفقه في البلاد المقدسة وإن السلف الصالح وأئمة المذاهب الاربعة هم قدوتنا في السير على الطريق القويم ، وسيكون العلماء المحققون من جميع الامصار هم المرجع لكل المسائل التي تحتاج الى تمحيص ونظر ثاقب

(٥) اني أؤكد لكم القول أن المدينة المنورة لا تزال حرما آمنا لا يصح ان يحدث فيه حدث من قتل او سلب او نهب، وصونا لشرفها ، اكتفيت بحصارها، على ما في ذلك من طول وقت وخسائر مالية ، واني استطيع بحول الله وقوته ان افتحها في ساعة واحدة ، ولكني حريص على سلامة البلاد والعباد . واني مشدد الاوامر على الجنود الا يهاجموا حرم المدينة بأي صورة ، ولا يدخلوها حتى يستسلم العدو ، وان ما فيها من المباني والمآثر يكون العمل فيه على ما تقدم في المادة السابقة

ان أعداءنا يشيعون اننا اذا استولينا على المدينة نهدم روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحاشا ان تحدث نفس مسلم بذلك ، اني افتديها بنفسي وولدي ومالي ورجالي ، واني لا اجد فرقا بين ماحرم الله ورسوله من حرم مكة والمدينة فانه صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها ، كما حرم سيدنا ابراهيم حرم مكة — واسأل الله ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٤٣

(المنار) قد أجمع العارفون على ان النجديين لو واصلوا زحفهم بعد كسر جيوش الملك حسين في الطائف والهدا وكرا لاستولوا على مكة وجدة وسائر الحجاز بدون قتال لانه لم يبق وراء تلك القوة قوة فيه للملك حسين ولاستولوا على كنوزه كلها ، ولكن السلطان عبد العزيز يكره سفك الدماء ويتقي القتال في الحرم تدينا فأمر بوقف جيشه فوقف حتى جاء بنفسه ودخل مكة مع جيشه محرما بالعمرة ، ثم ثانى حتى مكن حسينا وأولاده من تحصين جدة، وترك الزحف على المدينة الى هذا العام فامر بحصر حامية الشريف علي فيها ، وأصدر هذا المنشور ليعلم العالم الاسلامي بغرضه الشريف وليحتاط لبهتان الشريف علي ويتقي اتهامه بضرب المدينة أو حرمها المنيع لو دخلها فاتحا بل يستحل علي وقواده فعل ذلك ليتهموا الوهابيين به، كما فعل والده اذ أمر بضرب الكعبة المشرفة بالنار واتهم بذلك الترك عند ما قاتلهم بمكة